

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

مكتبة

مجله تبووعیه للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-4-2-1935

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
احمد حسن الزيات

الطولية

بشارع المبدولى رقم ٣٢
حايدين — القاهرة

تليقون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة

« القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٥٣ — ٤ فبراير سنة ١٩٣٥ »

المحدد ٨٣

مجلس نادر...

نعم مجلس نادر ! وندرته في طبيعة الغرض منه ، وشخصية الداعي إليه ، وقيمة الجالسين فيه ؛ كان الترض منه إصلاح ما بين أخى طه وبينى ، وإصلاح ما فسد من ذات البين بين صديقين شئ في طبع هذا الأدب المعاصر نادر ؛ وكانت الشخصية الداعية إليه هي الآنسة الجليلة (مى) ، وشخصية (مى) في عصور الشرق الأخيرة نادرة ؛ وكان الجالسون فيه الدكتور طه ، والأستاذ مصطفى عبد الرازق ، والدكتور أحمد زكي ، والأستاذ محمد عبد الله عنان ، وتهافت هذه العبقریات المختلفة على شعاع لطيف من ذكاء المرأة الشرقية المثقفة نادر ؛ وكان البهول للترف الذى سمرنا فيه قد انسجم بأناؤه ونظامه وألوانه وضوئه مع ذوق الآنسة الشاعرة ، فكان نطقاً من الحديث الصامت أذكى للشاعر وألم الأذهان في الحديث الناطق !

قالت الكاتبة النابهة وقد انتظمتنا حولها عقداً كانت هي واسطته : « أرجو أن تكونوا شخصاً واحداً... » فقال لها الدكتور طه : « نعم وتكونين أنت روحه » وعلى ظرف هذا الخطاب ، وبراعة هذا الجواب جرى سقاط الحديث . وكانت الأنسة تُصَرِّف الكلام وتساجل هؤلاء الأعلام ببديهة حاضرة ولقائه عجيبة ،

قهر من الممدد

صفحة

١٦٦	مجلس نادر . . .	: أحمد حسن الزيات
١٦٣	بنه الصغيرة	: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١٦٧	الفردوسي	: الأستاذ عبد الحميد البادي
١٧١	محالين الأدب في القرن الثامن عشر	: الأستاذ محمد فريد أبو حديد
١٧٤	الغزو الياباني الاقتصادي	: الأستاذ محمد عبد الله عثمان
١٧٧	حول ١٩ يناير	: الأستاذ محمد محمود جلال
١٧٩	الزعة السليبي الأديب المربي والإنجليزي	: الأستاذ نظري أبو السعود
١٨١	محاورات أفلاطون	: ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود
١٨٣	بين القاهرة وطوس	: الدكتور عبد الوهاب عزام
١٨٥	الراعي (قصيدة)	: الأستاذ محمود الحنيف
١٨٦	أندريه جيد	: علي كامل
١٩٠	بيان للناس	: سعادة محمد طلعت باشا حرب
١٩٣	كانديورا (قصة)	: لويجي بيراندولو ترجمة «إ.إ.إ.»
١٩٦	الوادي	: لامييرين . ترجمة «الزيات»
١٩٧	آيات شقي	: لعصاب القبريزي . ترجمة «عزام»
١٩٨	الاستلام والحضارة العربية (كتاب)	: «الحنيف»
١٩٩	ضاماتنا الأطفال	: (كتاب)

فثَّلتُ لى صورة من صور أولئك الأدبيات اللاتى أنشأت
 باستعدادهن للأدب مجالس فى عهده الزاهرة ، كسكينة ابنة
 الحسين ، والولادة ابنة للسكنى بالله ، ومدام دِ رَسْوَيه ،
 ومدام جوفرين ، وأضرابهن ممن وقفن بين اللغة والبلاغة ، وبين
 الأدب والذوق ، وبين الفن والسو ، ثم وشَّين ثقافة عصورهن
 بألوان شتى من إنافة المراض ، وجمال الأداء ، وحسن المبادهة ،
 فقدَّرت فى نفسى مبلغ ما تفيدته المرأة المتقفة فى مناهج الأدب
 ومظاهر الفكر وقواعد السلوك وأوضاع العُرف ، وقلت :
 مساكين نحن ! إذا ظفر أدبنا بهذه المجالس ، فأئنى نظفر بمجالسنا
 بهذه المرأة ؟

لست بطبيعتى وترينى رجل صالون ولا حديث مجلس ،
 لأن الجامع المختلطة التى تدفع الحياء عن الذهن ، وتذهب الخوف
 عن اللسان ، وتجعل أطراف الحديث فى متناول كل جالس ،
 أثبتنا علينا التقاليد ، فأنا أدرك حتى فى هذه الجهة أثر هذه
 المجالس فى علاج هذا النقص الاجتماعى الموروث

تتفق الحديث عن صور شتى من لغات الذهن النشيط ،
 ثم مسحت (مى) يدها الساحرة على ما كان بين الصديقين فإذا
 الماضى يعود كله ، وإذا الحاضر يذهب كله . وعلاقة هذين
 الصديقين علاقة نشأت مع السبى واستحارت مع الشباب
 وتوثقت على الزمن ، فلما نال منها العهد المحرم الذى نال من كل
 شئ . جزعت الآنسة الكريمة فىمن جزع ، وظلت تتحين
 المناسبة لسفارة الوفاق والمودة حتى تم لها ذلك ليلة الأمس !!

وللانسان ماضٍ من الأمكنة والأزمنة والأشخاص لا يستطيع
 مهما جدا أن يقطعه من حياته : فسقط الرأس ، وملاعب الطفولة ،
 ومسارح الهوى ، ومغافى الأجرة ، وغفلات العيش ، ورقعة الخدانة ،
 لا ينسخها فى ذاكرتك ما يمر على عينيك من ضخامة العمران
 ربطة السلطان ، وسورة النصب ، وزحمة المنافسة ، وصور
 الوجوه ، وتنوع العلاقات

ألهُ عنها بالحاضر إذا ثثت ، وأثبت نظرك فى وجه الشد
 إن استطعت ، فانك صائر ولا بد إلى الذكرى بعد الأمل ، ولأنك

بأمن الماضى من خوف المستقبل ؛ وحينئذ تجد هذه المراحل السعيدة
 وانحمة فى خيالك ، مشرقة فى نفسك ، تجدد عرك المفقود ،
 وتجدد زمانك المهيم ، وتفيض على جفاف قلبك شعوراً هادئاً لنبدأ
 باستحضار ما غيبت من لذة ، واستدكار ما نسيت من سعادة
 كان حسب صديقى وحسى لحظة من الذكرى تعيد عازب
 الحلم وتكر عادية الجدل ، ولكتنا كنا وكانت مصر يومئذ
 تكابد بحنة من الطغيان العاسف أوهنت الأعصاب ، وحلت
 الروابط ، ومدت بين الناس أسباب اللل

أخى طه !

لقد تعانقنا عند اللقاء كأن لم تكن جفوة ، وتناقلنا الحديث
 فى المجلس كأن لم تكن خصومة ، وتمنت ربة الدار أن يكون
 بيتنا عتاب فلم نجد مائلا فى النفس إلا أن كليتنا صورة من شباب
 الآخر وقطعة من وجوده !

تلك كانت جناية العهد البغيض كما قلت : أفرط فيه الجور حتى
 نسينا العدالة ، وتكررت المعرفة حتى اتهمنا الصداقة ، وران الشك
 على القلوب حتى حال بيننا وبين الحقيقة . فالحمد لله الذى أظهر لك على
 الكيد ، وأخفرك بالكائد ، وأعادك موفور الكرامة إلى موضعك
 عزيزى الآنسة مى !

جزعت أول الناس لهذا الخلاف الواغل عن باعث من
 طبعك ، وكنت فى كف هذا الجدل القاسى برحى من
 شعورك ، وسعيت للصلح هذا السعى النبيل بدافع من نفسك ،
 وكل ذلك وليس بيننا غير العلاقة التى يبرمها الأدب بين أهله على
 بُعد ! فأنا أسجل لك فى الرسالة هذا الحب العزيزى للخير ،
 والاخلاص الطيبى للعلم ، والايمان الصادق بالأدب ، والجهد
 المتصل فى تأليف القلوب بالمودة ، وثقيف العقول بالمعرفة ، وتغذية
 النهضة الفكرية بالانتاج الحبيب ، واسمعى لى أن أبشر أصدقائه
 الرسالة وقراءها بأنك قبلت أن تدخل فى أسرتها ، وأن تحمل
 نصيبك من دعوتها ، وذلك فضل آخر منك يضاعف الشكر
 لك ، وفوز جديد للرسالة يجدد الشكر لله

محمّد الزمانى

بنته الصغيرة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

تمه

... وجاء من القند أبو يحيى مالك بن دينار إلى المسجد ،
فصل بالناس ، ثم تحول إلى مجلس درسه وتمكفوا حوله ؛
وكانوا إلى بقيّة خبره في لفقة كأن لها ممرّاً طويلاً في قلوبهم ،
لا ظملاً ليلته واحدة
وقال منهم قائل : أيها الشيخ ، جئلتُ فداك ، ما كان
ناوِلُ الحَسَنِ لَتلك الآية من كلام الله تعالى ، وكيف رَجَعَ
الكلام في نفسك مَرَّجَعَ الفكر تَتَّبِعُهُ ، وأصبح الفكر
عندك عملاً تحذو عليه ، واتصل هذا العملُ فكان ما أنت في
وَرَعاك ... ؟

قطع الإمام عليه وقال : هَوْنٌ عليك يا هذا ؛ إن شيخك
لأهْوَنُ من أن تذهب في وصفه عينا أو شيئا ، وقد روى
لنا الحَسَنُ يوماً ذلك الخبرَ الواردَ فيمن يُمَذَّبُ في النار ألف
عام من أعوام القيامة ، ثم يدركه عفوَ الله فيخرج منها ، فيكي
الحسن وقال : « باليتنى كنت ذلك الرجل ا » وهو الحسن
يا بني ، هو الحسن

فضج الناس وصاح منهم صائحون : يا أبا يحيى ، قتلنا ياساً .
وقال الأول . إذا كان هذا فأرشدك أن يسمنا اليأسُ والقنوط ،
فلا ينفعنا عمل ولا نأق عملاً ينفع

قال الشيخ : هو نوا عليكم ، فإن للمؤمن ظنّين : ظنّاً
بنفسه ، وظنّاً بربه ؛ فأما ظنّه بالنفس فينبني أن ينزل بها دون
جَحَاصِها ولا يفتأ ينزل ؛ فإذا رأى لنفسه أنها لم تعمل شيئاً
وجب عليها أن تعمل ، فلا يزال دائماً يدفعها ، وكلما أكثرَتْ
من الخير قال لها : أكثري . وكلما أقلَّتْ من الشر قال لها :
أقلّي . ولا يزال هذا دأبه ودأبها ما بقي ؛ وأما الظنُّ بالله فينبني
أن يملو به فوق الفسّرات والميلال والآبام ولا يزال يملو ؛ فإن
الله عند ظنِّ عبده به ، إن خيراً فله وإن شراً فله . ولقد رويتنا
هذا الخبر : « كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قَتَلَ تسماً وتسمين
نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلّ على راهب فأناه ،

فقال : إنه قتل تسماً وتسمين نفساً ، فهل له من توبة ؟ قال : لا ؛
فقتله فكُلَّ به مائة ؛ ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدلّ
على رجل عالم ، فقال له : إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟
قال : نعم ؛ ومن يحول بينك وبين التوبة ؟ إنطلق إلى أرض
كذا وكذا فإن بها أناساً يبدون الله عن وجهه ، فاعبد الله
مهم ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء

فانطلق ، حتى إذا نصّف الطريق أتاه ملك الموت ،
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ؛ فقالت
ملائكة الرحمة : جاء نائباً مُقبِلاً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة
العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فاتّام ملك في صورة آدمي
فجملوه حكماً بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، قال أيهما
كان أدنى فهو له . فقيسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ،
فقبضته ملائكة الرحمة !

قال الشيخ : فهذا رجل لما سنى بقلبه إلى الله حُشِبَتْ
له الخطوة الواحدة ، بل الشبر الواحد ؛ ولو أنه طوّف
الدنيا بقدميه ولم يكن له ذلك القلب ، لكان كالمظام المحمولة في
نمش ؛ قبرها في الشرق هو قبرها في المغرب ، وليس لها من
الأرض ولا للأرض منها إلا سنى واحد لا يتغير ؛ هو أنه بجملته
ميت ، وأنها بجملتها حُفْرة

والإنسان عند الناس بهيئة وجهه وحليته التي تبدو عليه ،
ولكنه عند الله بهيئة قلبه وظنّه الذي يظنُّ به ؛ وما هذا الجسم
من القلب إلا كقشرة البيضة^(١) مما تحتها . فيألفها سخريّة أن
ترغم القشرة لنفسها أن بها هي الاعتبار عند الناس لا بما فيها ،
إذ كان ما تحويه لا يكون إلا فيها هي ؛ ومن ثمّ تبعيدُ في حماقتها
فتسأل : لماذا يرميني الناس ولا يأكلونني ؟

إن هذه الأخلاق الفاضلة في هذا الإنسان لا تجد تمام
معناها إلا في حالة يمينها من أحوال القلب ، وهي حالة خشوعه
على وصفها الذي شرحته الآية الكريمة : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ
الْحَقِّ . »

(١) قشرة البيضة المليا البايبة تسمى القبيش بفتح القاف وسكون الياء ،
والقشرة الداخلة الملتزمة باليأس تسمى الفرق بكسر الفين والقاف

آيَاتِهِ نَحْمُ فَصَصَاتُ» (١)

يقول الله تعالى : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ »

« أَلَمْ يَأْنِ » هذه الكلمة حثٌّ ، وإطاعٌ ، وجدالٌ ، وحجةٌ ؛ وهي في الآية تُصرِّح أن خشوع القلب الذي تلك صفتُهُ هو كمال للإيمان ، وأن وقت هذا الخشوع هو كمالُ العمر وكيف يعرف المؤمنُ أنه (سيأتي) له أن يعيش ساعة أو مادونها ؟ إذن فالسكلمةُ سارخةٌ تقول : الآن الآن قبل ألا يكونَ آن . أي : البدارَ البدارَ ما دمتَ في نفسٍ من العمر ؛ فإن لحظة بعد (الآن) لا يضمنها الحق . وإذا فني وقتُ الإنسان انتهى زمنُ عمله فبقى الأبد كله على ما هو ؛ ومعنى هذا أن الأبد للمؤمن الذي يدرك الحقيقة ، إن هو - إلا اللحظة الراهنة من عمره التي هي (الآن) . فانظر - وبحك - وقد جُمِلَ الأبد في يدك ؛ انظر كيف تصنع به ؟

تلك هي حكمة اختيار اللفظة من معنى (الآن) دون غيره على كثرة المعاني

ثم قال : « لِلَّذِينَ آمَنُوا » وهذا كالتَّصَرُّف على أن غير هؤلاء لا تخشع قلوبهم لذكر الله ولا للحق ، فلا تقومُ بهم الفضيلة ، ولا تستقيمُ بهم الشريعة ، وعالمهم وجاهلهم سواء ؛ لا يخشعان إلا للمادة ؛ وكأنَّ إنسانهم إنسانٌ ترائي ، لا يزال يضطربُ على مكر الليل والنهار بين طرفين من الحيوان : عيشه وموته ؛ وما تقسو الحياةُ قسوتها على الناس إلا بهم ، وما ترقُّ رقتها إلا بالمؤمنين

وجعل الخشوعَ للقلوب خاصةً ، إذ كان خشوعُ القلب غير خشوع الجسم ؛ فهذا الأخير لا يكون خشوعاً ، بل ذلاً ، أو ضعفاً ، أو رياءً ، أو تفاناً ، أو ما كان . أما خشوع القلب فلن يكون إلا خالصاً مُخْلِصاً مُحَضَّصاً للأرادة واشترط « القلب » كأنه يقول : إنما القلب أساسُ المؤمن ، وإن المؤمن ينبع من قلبه لا من غيره ، متى كان هذا القلب خاشعاً لله وللحق . فإن لم يكن قلبه على تلك الحال ، تبسَّع منه الفاسقُ

(١) طريقتا في اكتناء إيجاز القرآن أن الكلمة الواحدة من كلامه لها جهات عدة ؛ كما ترى فيما نترجمه من تفسير هذه الآية ؛ وفيما جئنا به من تفسير آيات سبقت في المقالات الأخرى ؛ فالبعث في فهم القرآن يجب أن يكون في اللفظة ووجه اختيارها وسبب تركيبها وما تدل عليه في كل ذلك ، وما يدل كل ذلك بها . وقد بسطنا هذا في كتابنا إيجاز القرآن

فالخلقُ الفاخلةُ محدودةٌ بالله والحقُّ معاً ، وهي كلها في خشوع القلب لمدين ؛ فإن من القلب مخارج الحياة النفسية كلها قال الشيخ : وأما منذ حفظتُ عن الحسن تأويلَ هذه الآية ، واستأنستُ بها ، مضيتُ أعيشُ من الدنيا في تاريخ قلبي لافي تاريخ الدنيا ، وأدركتُ من يومئذٍ أني ليس حفظُ القرآن يحفظه في العقل ، بل حفظه في العمل به ؛ فإن أنت أثبت الآية منه وكنت تعمل بغير معناها ، وتعيش في غير فضيلتها فهذا - وبحك - نسيانها لا حفظها . وقد كان قومنا الأولون عمانية كالشجرة الخضراء النامية ؛ فيها ورقها الأخضر وزهرها وعمرها ، وعلى ظاهرها حياة باطنها ، فلما ثبت الناسُ على الشكل وحده ، ولم يبالوا القلبَ وأحواله أصبحوا كالشجرة اليابسة ؛ عليها ورقها الجاف ليس في بقائه ولا سقوطه طائل ما أصبحتُ ولا أصبحت منذ حفظتُ تفسير الآية إلا في حياة منها ، وهذه الآية هي دلَّتني بمعانيها أن ليست الحياة الأرضية شيئاً إلا نورة الحق على ظلم نفسه ، يستكيف عنها أكثر مما يستجبر لها ؛ والناس من شقايتهم على العكس يستجرون أكثر مما يستكيفون ، وإنما السعيدُ من وجد كلمات روحانية إلهية يعيش قلبه فيهن ، فذلك لا يعمل أعماله كما يأتي ويتفق ، بل يحدو على أصل ثابت في نفسه ، ويختار فيما يعمل أحسن ما يعمل ؛ ومن ثم لا يكون جهادُهُ مُرَّاً غمَّةً أو خضوعاً في سبيل الوجود كالحيوان ، بل في سبيل صحة وجوده ؛ ولا يكون غرضه أن يلايس الحياة كما تأخذه هي وتدعه ، بل أن يحيا في شرف الحياة على ما يأخذها هو ويدعها إن الشقاء في هذه الدنيا إنما يجبره على الإنسان أن يعمل في دفع الأحران عن نفسه بمقارنته الشهوات وإحساسه غرور القلب ؛ وبهذا يبعد الأحران ليجلبها على نفسه في صورة أخرى !

قال الشيخ : وكان مما حفظته من تفسير الحسن قوله : إن كل كلمة في الآية تكاد تكون آية ، وليست الكلمة في القرآن كما تكون في غيره ، بل السُّمُوُّ فيها على الكلام ، أنها تحمل معنى وتوهم إلى معنى وتستتبع معنى ؛ وهذا ما ليس في الطاقة البشرية ، وهو الدليل على أنه « كِتَابٌ أُحْكِمَتْ

الأرض ، وقرره الناس بمسئهم على بعض ، لم يجاوز في ارتفاعه رأس الإنسان ، وأفسدته العقول ؛ إذ كان الإنسان ظالماً متردداً بالطبيعة ، لا يحكمه من أول تاريخه إلا اليأس ومعانيها وما كان شيئاً بذلك مما يجيشه من أعلى ؛ أي بالسلطان والقوة ؛ فيكون حقاً « نازلاً » متدقماً كما يتصوب الشغل من عال ، ليس بينه وبين أن ينفذ شيء .

والخشوع لما نزل من الحق ينق خشوعاً آخر هو الذي أفسد ذات الين من الناس ، وهو الخشوع لما قام من النفعة وانصراف القلب إليها بإيمان الطمع لا الحق

وبجملة الآية على ذلك الوجه يتحقق العدل والنصفة بين الناس ؛ فيكون العدل في كل مؤمن شعوراً قلبياً ، جاري في الطبيعة لا متكلفاً من العقل ؛ وبهذا وحده يكون للإنسان إرادة ثابتة على الحق في كل طريق ، لا إرادة لكل طريق ، وتستمر هذه الإرادة متمسكة في نظامها مع إرادة الله ، لا نافرة منها ولا متمردة عليها ؛ وهذا وذلك يثبت القلب مهما اختلفت عليه أحوال الدنيا ، فلا يكون من إيمانه إلا سموه وقوته وثباته ، وينزل العمر عنده منزلة اللحظة الواحدة ، وما أيسر الصبر على لحظة ؛ ما أهون شر « الآن » إن كان الخير فيما بعده

ألم يأن ؛ ألم يأن ؛ ألم يأن ...

قال الشيخ : وكان الحسن في معانيه الفاضلة هو هذه الآية بينها ؛ فما كانت حياته إلا إسلامية كهذا الكلام الأبيض للشرق الذي سمعته منه ؛ شعاره أبداً : « الآن قبل ألا يكون أن . » وإيمانه : « أخذ نفسك من قلبك . » وطريقته « شرف الحياة لا الحياة نفسها »

وكان يرى هذه الحياة كوقمة الطائر ؛ هي عمل جناحين مستوفزين أبداً لعمل آخر هو الأقوى والأشد ، فلا يزلان بطائرهما على شيء إلا مطوريين على قدرة الارتفاع به ، ولا يكونان أبداً إلا هفها فين خفيفين على الطيران ؛ إذ كانا في حكم الجو لافي حكم الأرض ، وآلة الوقوع والطيران بالإنسان شهواته ورغباته ؛ فإن حطته شهوة لا رغبة فقد أوبقته وأهلكته وقفت به ليؤخذ .

والظالم والطاغية وكل ذي شر . ما أشبه القلب تنفرع منه معاني الخلق ، بالحبة تنسرح منها الشجرة ؛ فتأخذ نفسك من قلبك كما شئت ؛ حلوا من حلو ومرأ من مرأ

وخشوع القلب لله وللحق ، معناه السمو فوق حب الذات وفوق الآثرة والطمع الفاسدة ؛ وهذا يضع المؤمن قاعدة الحياة الصحيحة ، ويجعلها في قانونين لا قانون واحد ؛ ومتى خشع القلب لله وللحق عظمت فيه الصفات من قوة إحساسها ، فبرها كبيرة كبيرة وإن عمى الناس عنها ، وبرها وهي بعيدة منه بمنزل عين السحاب ، يكون في لوجر الجو ولا يغيب عن عينه ما في التري

وقد تخشع القلوب لبعض الأهواء خشوعاً هو شر من الطغيان والقسوة ؛ فتقيد خشوع القلب « بذكر الله » هو في نفسه نقي لعبادة الهوى وعبادة الذات الإنسانية في شهواتها . وما الشهوة عند المخلوق الضعيف إلا إله ساعته . فيا ما أحكم وأنجب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » . جعل زرع الإيمان موقوتاً « بالحين » الذي تفتقر فيه المعصية ؛ إذ لم يكن الله عند هذا الشقي هو إله ذلك « الحين »

والخشوع لما نزل من الحق هو في معناه نقي آخر للكبرياء الإنسانية التي تقيد على المرء كل حقيقة ، وتخرج به من كل قانون ؛ إذ تجعل الحقائق العامة محدودة بالإنسان وشهواته ، لا بمحدودها هي من الحقوق والفضائل

ويخرج من هذا وذلك تقرير الإرادة الإنسانية ، وإلزامها الخير والحق دون غيرها ، وقهرها للذات وشهواتها ، وجعلها الكبرياء الإنسانية كبرياء على الدنيا والخصائص ، لا على الحقوق والفضائل . وإذا تقرر كل ذلك انتهى بطبيعته إلى إقرار الحكمة في النفس ، ومحور الفوضى منها ، وجعل نظامها في إحساس القلب وحده ؛ فيجيب القلب في المؤمن حياة المعنى السامي ، ويكون نبضه علامة الحياة في ذاتها ، وخشوعه لله وللحق علامة الحياة في كمالها

وقال : « ما نزل من الحق » كأنه يقول : إن هذا الحق لا يكون بطبيعته ولا بطبيعة الإنسان أرضياً ، فإذا هو ارتفع من

لقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغُ البعدُ أن يكونَ من التفتين حتى يدعَ مالا بأسَ به حذرًا مما به بأسٌ » وهذا ضربٌ من خشوع القلب المؤمن فيما يحلُّ له ؛ يدعُ أشياء كثيرة لا بأسَ عليه فيها لو أنها ، ليقوى على أن يدعَ ما فيه بأسٌ ، فإن الذي يترك ماله يكون أقوى على ترك ما ليس له .
والنفسُ لا بدَّ راجعةً يوماً إلى الآخرة ، وتاركاً أداتها ؛ فقيامُ نظامها في الحياة الصحيحة أن تكون كل يومٍ كأنها ذهبتْ إلى الآخرة وجاءت . وتلك هي الحكمة فيما فرضته الشريعة الإسلامية من عبادة راتبة تكون جزءاً من عمل الحياة في يومها وليلتها . فإذا لم تكن النفس في حياتها كأنها دائماً تذهب إلى مصيرها وترجع منه ، طمستها الجسمُ وحسبها في إحدى الجهتين ، فلم يبقَ لها فيه إلا أثرٌ ضئيل لا يتجاوز النصيح ، كاعتراض القتل على قاتله ، يحاول أن يردَّ السيف بكلمة ... وبذلك يتضاهف الجسم في قوته ويستند في صولته ، ويتصرف في شهواته كأن له بطنين يجوعان معاً . . . فتستهلك شهوات الرء دينه ، وتقذف به يميناً وشمالاً ، على قصدير وعلى غير قصد ، وتغشى به كاشات في مدرجة مدرجة من الشر ؛ ومثل هذا السرف على نفسه لا يكون تمييزه في الدين ولا إحساسه بالخير إلا كذلك السكير الذي زعموا أنه أراد التوبة ، وكانت له جرتان من الحر ، فلما انمطَّ وبلغ في النظر إلى نفسه وحظَّ إيمانه وأراد أن يطيع الله ويتوب - نظر إلى الجرتين ثم قال : أتوبُ عن الشرب من هذه حتى تفرغ هذه ... !

قال الشيخ : ثم إنِّي بُتُّ على يد الحسن ، وأخلصتُ في التوبة وصححتها ، وعلمتُ من فعله وقوله أن حقيقة الدين هي كبرياء النفس على شرِّها وظلمها وشهواتها ، وأن هذه الكبرياء القائلة للآثم هي في النفس أختُ الشجاعة القائلة للمدوِّ الباغى ، يفخر البطلُ الشجاعُ بمبلغه من هذه ، ويفخر الرجل المؤمن بمبلغه من تلك ، وأن خشوع القلب هو في معناه حقيقة هذه الكبرياء بعينها .

وحدثتُ الحسن يوماً حديثَ رؤيائي^(١) وما شَبَّه لي من عملي السيئ وعمل الصالح ، فاستدَّ مَعَتَّ عيناها :

(١) ذكرت الرؤيا في القسم الأول من هذه المقالة

وقال : إن البنتَ الطاهرةَ هي جهادُ أبيها وأُمِّها في هذه الدنيا ، كالجهاد في سبيل الله ؛ وإنها فوزٌ لهما في معركة من الحياة ، يكونان هما والصبر والإيمان في ناحية منها قبيلاً ، ويكون الشيطانُ والهوى والحزن في الجهة المناوِية قبيلاً آخر .
إن البنتَ هي أمٌ ودارٌ ، وأبوها فيها يكابدان من إحسان تربيتهما وتأديتهما وحياتها والصبر عليها واليقظة لها - كأنهما يحملان الأحجار على ظهرَيهما حجراً حجراً ، ليبتنينا تلك الدار في يومٍ يومٍ إلى عشرين سنة أو أكثر ، ما صحبته وما بقيت في بيته . فليس ينبغي أن ينظر الأبُ إلى بنته إلا على أنها بنته ، ثم أمٌ أولادها ، ثم أمٌ أحباؤه ؛ فعلى ذلك أكبرُ من نفسها ، وحققها عليه أكبرُ من الحق ، فيه حرمتها وحرمة الإنسانية معاً ؛ والأبُ في ذلك يفرض الله إحساناً وحناناً ورحمة ، فحقُّ على الله أن يوفيه من مثله ، وأن يضاعفَ له

والبنت ترى نفسها في بيت أهلها - ضميعةً كالنقطة وكالعائلة ، وليس لها إلا الله ورحمةُ أبيها ؛ فإن رحماها ، وأكرماها فوق الرحمة ، وسرأها فوق الكرامة ، وقاما بحق تأديتها وتعليمها وتفقيها في الدين ، وحفظاً لنفسها طاهرة كريمة مسرورة مؤدبة - فقد وضعا بين يدي الله عملاً كاملاً من أعمالها الصالحة ، كما وضعا بين يدي الإنسانية . فإذا صارا إلى الله كان حقاً لهما أن يجدا في الآخرة عيناً وشمالاً يذهبان بينهما إلى عفو الله وكرمه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له ابنةٌ فأدبها فأحسن تأديتها ، وغذاها فأحسن غذاها ، وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه - كانت له ميمنةً وميسرةً من النار إلى الجنة . »

فهذه ثلاثٌ لا بدَّ منها معاً ، ولا تجزى واحدة عن واحدة في ثواب البنت : تربيةً عقلها تربيةً إحساناً ، وتربيةً جسمانيةً إحساناً والطفان ، وتربيةً روحانيةً إكراماً والطفان وإحسان

قال الشيخ : والله أرحمُ أن تضيعَ عنده الرحمة ؛ والله أكرمُ أن يضيعَ الإحسان عنده ، والله أكبرُ ...
وهنا صاح المؤذن : الله أكبر
فتبسم الشيخ وقام إلى الصلاة .

طعنا

طعنا

صور من التاريخ الإسلامي

١ - الفردوسي^(١)

للأستاذ عبد الحميد المبادي

احتفلت الأمة الإيرانية في أكتوبر الماضي بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد شاعرها الأكبر أبي القاسم الفردوسي ، وقد دام احتفالها نحو شهر من الزمان كانت إيران كلها فيه متصلة الأعياد بادية البشر والسرور . ولم تكن الحفاوة بتلك الذكرى مقصورة على الإيرانيين وحدهم ، فقد شاركهم فيها العالم المتحضر شرقه وغربه ، فأوفدت ثمانى عشرة دولة كبيرة إلى إيران من يمثلها في الاحتفال بذكرى الفردوسي ، وزاد بعضها من قبيل المجاملة للأيرانيين والمبالغة في تقدير شاعرهم فاحتفى بتلك الذكرى احتفاء خاصاً في عواصمه . فعل ذلك الألمان في برلين ، والإنجليز في لندن ، والفرنسيون في باريس ، والايطاليون في رومية . وعما قريب تحذو مصر حذوم فتهب ذكرى الفردوسي أسبوعاً من الزمن يتحدث فيه بالقاهرة نفر من فضلائها عن حياة الفردوسي وشعره ، وعن أثر قومه في عالم الفن والأدب

وأريد بهذه المناسبة أن أعرض في هذا المقال وفي مقال آخر آت ببيان وجيز لسبب حفاوة الفرس وغير الفرس بذكرى الفردوسي . وسنرى أن البحث سيكشف لنا عن شخصية فذة عجيبة حقاً . شخصية استطاعت من جهة أن تستنقذ قومية ولغة كان يتنازعها البقاء والمدم ، ومن جهة أخرى ساهمت بنصيب موفور في ميراث العالم الأدبي الباقي على وجه الزمان

هو أبو القاسم الحسن بن علي الفردوسي ، وكلمة (الفردوسي) لقبه الشعري ، فقد جرت عادة الفرس من قديم أن يخلعوا على

(١) أذيع مضمون هذا المقال بالراديو من محطة الإذاعة المصرية في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤ . هذا ولم تقصد في بحثنا إلى تاريخ الشاعر من الناحية الفنية فليس ذلك من شأننا ، إنما قصدنا إلى التعرف عنه من حيث أن حياته تلتق ضوءاً على الحال السياسية لآسيا الوسطى الإسلامية في القرن الرابع الهجري . ومن يروى الشاعر نفسه فليتبسها في مظاتها وخاصة الشاهنامه نفسها ، ومقدمة (مول) للترجمة الفرنسية للشاهنامه ، وكتاب تولدكه عن الشاهنامه ، ومقدمة الدكتور هزيم لترجمة البنداري العربية للشاهنامه

شعرانهم ألقاباً خاصة كالديقي ، وملك الشعراء ، وعظم الشعراء وهكذا . ولد على رأى بعض النقات حوالى عام ٣٢٥ هـ بقرية من قرى مدينة طوس بخراسان يقال لها (باز) ، وورث عن أبيه ضياءً كانت تنقل عليه في صدر حياته كفايته من المال . وتعلم في حدائته ما كان يتعلمه أمثاله من أبناء الدهاقين في ذلك الزمان ، فذوق الفهولة والعريية ، وشغف في صباه بقرض الشعر الفارسي والتوفر على مطالعة القصص الفارسي القديم . فأنشأ كل ذلك فيه اعتداداً بقومه واعتنائاً لمذهبهم الشيعي . وشدا شيئاً من آراء التكلمين من المعتزلة ، فنشأ فارسي الهوى ، شيعي المذهب ، معتزلي الرأي

كان أمر خراسان في ذلك الوقت إلى الدولة السامانية ، وهي دولة فارسية من الدول التي تقسمت سلطان الدولة العباسية بضمف السلطة المركزية في بغداد ابتداء من القرن الثالث الهجري . وقد جهد السامانيون في بث الروح القوي الفارسي مستعينين على ذلك بما للتاريخ والأدب من القوة في إذكاء الروح القوي عامة . فنقل وزيرهم البلخي رسم الأمير منصور الساماني تاريخ الطبري إلى الفارسية ، وتقدم عاملهم على طوس أبو منصور ابن عبد الرزاق إلى رجل يقال له أبو منصور الممري في جمع أخبار الفرس القدماء في شكل تاريخ شعبي لفارس من أقدم عصورها إلى الفتح الإسلامي ، فعهد الممري بالأمر إلى أربعة من الفرس الزرادشتيين لجمعوا ذلك التاريخ من الكتب المحفوظة في قلاع فارس ، وفي خزائن الموايد والدهاقين . ثم كتبوا ذلك التاريخ بالفارسية الحديثة وسموه « الشاهنامه » أي « كتاب الملوك » ، وكان ذلك حوالى عام ٣٤٧ هـ ؛ وأراد السامانيون أن يسهل على الفرس تناول هذا التاريخ وتداوله فعهد الأمير نوح ابن منصور الساماني بنظمه شعراً إلى فتي فارسي شاعر يعرف بالديقي . فأخذ الديقي في ذلك فنظم منه ألف بيت ثم هلك غيلة حوالى عام ٣٦٦ هـ

اطلع الفردوسي على الشاهنامه المنثورة وعلى ما نظم الديقي منها من نسخة أعاده إليها صديق له يقال له (محمد لشكري) . وأشار عليه ذلك الصديق أن يتم ما شرع فيه الديقي ، وصادف ذلك هوى في نفسه ، فامثل الإشارة وعكف على نظم الشاهنامه من حيث انتهى صاحبه ، فقفى في ذلك ثلاثاً وعشرين سنة أتم

فيها نسخة الشاهنامة الأولى (٣٨٩ هـ) ثم أهدى تلك النسخة إلى كبير من كبراء الفرس الظاهريين بأرض أصبهان يقال له أحمد الخالنجاني ، فأجازها عليها بجائزة يسيرة

في تلك السنين الطوال كانت خراسان قد تبدلت بها الحال ، لاضطراب أمر الدولة السامانية القومية المستتيرة ، وعمرها ما يمر والبلاذ عادة عند التأذن بذهاب دولة وقيام أخرى . فأهملت المرافق العامة وخاصة مرافق الري ، والبلاذ بعد بلاد زراعية ، فشح الماء ، وجف الزرع ، وأجدبت الحقول ، ونالت ملاك الأراضي شدة تعذر عليهم معها أداء الخراج الموضوع على أراضيهم . وكان الفردوسي بطبيعة الحال من ضحايا تلك الشدة الاقتصادية ، وزاده ضيقا وسوء حال انصرافه إلى حياة الأدب المحض ، واضطراره إلى أن يستكفي غيره النظر في شئون أرضه . ويظهر أثر تلك الحال واضحاً في ترديده في شعره الشكوى من الفاقة وتنكر الزمان . وقد اضطر أخيراً الأمر إلى مسألة أصدقائه ، فأعانه منهم نفر كرام النفوس أو قياء القلوب ، كانوا هم عن صميمهم بأن نوه بذكرهم في الشاهنامة . والحق أن الفردوسي ، وقد فقد الانتفاع بأرضه أصبح يرى أن من حقه على الناس أن يكافئوه على جهوده الأدبية بحال يزوج منه ابنته الوحيدة ، وينفق منه على نفسه في شيخوخته . ووفق لذلك يبحث عن أمير نبيل أو ملك جليل يهدي إليه الشاهنامة فيجيزه عنها بجائزة تحقق أمنيته ، وسرعان ما وجد ذلك الملك الجليل في شخص السلطان محمود الغزنوي

والسلطان محمود الغزنوي أوحده ملوك الإسلام لذلك العهد ، وأحد أبطال التاريخ الإسلامي على الإطلاق . قد شاد بمزمه ومهته ملكاً عربياً وسع مهل الهندستان ، وخراسان ، وتركستان ، وطبرستان ، وفارس . وأصبحت قاعدته (غزنة) بساجدها ومدارسها وخزائن كتبها وعلومها الأعلام من أمهات المدن الإسلامية . ويقال إنه لم يجتمع قط في مدينة أسبوية في وقت واحد من أعيان الأدب وأقطاب العلم والفلسفة مثل من اجتمع بغزنة على عهد السلطان محمود . ذلك بأن السلطان كان شغوفاً بالعلم والأدب ، حريصاً على اجتذاب العلماء من مختلف البلدان الإسلامية ليقبضهم بحضرته ، فيزدان بهم بلاطه ، وتكون له من قربهم شهرة أدبية تضاهي شهرته الحربية التي طبقت

الآفاق . ومن العلماء الذين حفلت بهم غزنة على عهده ، البيروني والشبي المؤرخان ، والفارابي الفيلسوف ، وأبو الفتح البستي الشاعر العربي ، والمسجدي والمنصري والفرخي ، وكلهم من سباق شعراء الفرس في الإسلام . وكان الرئيس أبو علي بن سينا قد قصد حضرة السلطان ثم بدله فعدل عنها إلى جهة أخرى . وكان السلطان كلما فرغ من حرب وأقام بمأمنه متودعاً ، جلس إلى أولئك العلماء يحدثهم أو يستمع إلى حديثهم ، وهو في تصيده العلماء ومباهاته بهم يذكرنا بسيف الدولة الحمداني ، والحكم المستنصر الأندلسي ، ويفردريك الأكبر ملك روسيا ، ولويس الرابع عشر ملك فرنسا

ذلك هو الملك الجليل الذي رآه الفردوسي مهوى فؤاده ومعط آماله . فأخذ يعد المدة لاتتجاع حضرته والاعتراف من فيض جوده . فجعل يراجع الشاهنامة ، مطامناً بين أحزائها ، مكمل ما نقص منها ، مستذكراً ما فاته في نسخها الأولى ومعلماً فصولها بمجدح سنية بطوق بها جيد ذلك الملك العظيم . وقد قضى في ذلك إحدى عشرة سنة ، فقد فرغ من إعداد النسخة الثانية للشاهنامة عام ٤٠٠ هـ وبلغت عدة أبياتها ستين ألفاً

توجه الفردوسي إلى غزنة ومعه راويه ونسخة الشاهنامة ، فلقى وزير السلطان الرئيس الكبير أبا العباس الفضل بن أحمد ، وكان معنياً بنشر الفارسية ، فأبلفه حضرة السلطان . واطلع السلطان على الشاهنامة ، ولا ريب أنه أدرك أنها ثمرة مجهود عقل جبار ، ولكنه مع ذلك لم يتقبلها بقبول حسن . والروايات القديمة مجمعة على أن الوشاية والكيد قد عملا عملهما في إفساد قلب السلطان على الوزير والشاعر معاً . ولكن الأمر أجل من ذلك وأعظم . فليس من شك في أن ذلك السلطان التركي المسلم ، الذي أنفق من الجهد في إعلاء كلمة الإسلام في الهند ما أنفق ، والذي كان نصيراً للسنّة ، وخصاً للباطنية والمعتزلة ، هذا السلطان لم يعجبه أن يشيد الفردوسي بمجد حازه الفرس أيام مجوسيتهم ، كما لم يعجبه أن يتفخ في بوق المعصية الفارسية ، وأن يدير كتابه على الحروب التي وقعت في القديم بين إيران وطوران ، كما لم يعجبه تشييمه وجهره بأرائه الدالة على اعتزاله . كل ذلك قعد بالسلطان أن يجيز الشاعر بالجائزة التي كان يتوقعها ، والتي كان يماق عليها

الجواب ؟ » فتمثل الوزير بيت من الشاهنامة معناه « إذا لم يكن الجواب كما أريد ، فأما والجرز والميدان وأفراسياب » فقال السلطان « لمن هذا البيت الذي تنبئ بالشجاعة منه ؟ » قال « للسكين أبي القاسم الفردوسي الذي احتمل العناء خمسا وعشرين سنة وما جنى أية ثمرة » قال السلطان « أحسنت بما ذكرني ، إني ليحزنني أن يحرم عطائي هذا الرجل الحر ، ذكرني في غزوة لأرسل اليه شيئا » فلما قدم الوزير غزوة ذكر السلطان ، فقال السلطان « مر لأبي القاسم بستين ألف دينار يعطاها نيلجا ، ويحمل على الأبل السلطانية ، ويستدر اليه »

غير أن القدر الساحر شاء ألا تنفذ مشيئة السلطان ، فيقال إنه عند ما وصلت الأبل التي تحمل الهدية إلى طوس ، كان الفردوسي قد أسلم الروح (٤١١ هـ) ، وإنه بينما الأبل داخلة من بعض أبواب المدينة ، كانت جنازة الشاعر خارجة من باب آخر وأراد رسل السلطان أن يدفعوا الهدية إلى ابنة الفردوسي ، ولكنها اعتذرت عن عدم قبولها . عند ذلك أمر السلطان أن ينفق المال في بعض وجوه البر ، فعمروا به رباطا للمجاهدين على حدود إقليم طوس . وكذلك نفي السلطان عن نفسه آخرة الأمر تهمة التقصير في حق الشاعر الكبير . فان ادعى مدع أنه ظلمه في الأولى فقد أنصفه في الثانية ، ودل بذلك على نفس كبيرة وحلم عظيم

تلك بالاختصار سيرة الحكيم أبي القاسم الفردوسي . وهي سيرة تفصح عما أوتيته ذلك الشاعر من قوة تمثل في صدق عزيمته ، وبعد همته ، وعظم غايته ، وثبات مقصده ، كما أنها تفصح عن ضعفه الذي يبدو في حدة مزاجه ، وكثرة شكواه من الفاقة وتبرمه بالناس والزمان ، ثم في ندمه في مطلع قصته الثانية على ما أنفق من جهده وأضاع من عمره في نظم ملحمة الأولى . على أن ذلك كله ليس مناط تعظيم قومه لذكراه ، إنما مناط ذلك هو الصنيع الجليل الذي أسداه إلى القومية الفارسية واللغة الفارسية الحديثة .

ولبيان ذلك ينبغي أن ترجع مع الزمن إلى أوائل القرن الأول الهجري ، فقد حمل العرب إذ ذاك على الدولة الفارسية ، وما هي إلا سنوات معدودات ، حتى كانوا قد قضوا على ملك آل ساسان ،

آمالا كبارا . فيقال إنه بعث إليه بمئتين ألف درهم فقط مكافأة على مجهود خمس وثلاثين سنة

لكن الفردوسي لم يكن الرجل الذي يحتمل هذا النقص في حقه . فقد جرى السلطان شر جزاء ، فيقال إنه دخل حماما فلما خرج منه شرب فقاعا ، ثم قسم عطية السلطان بين الحماني والفقاعي . وبلغ ذلك السلطان فهاج غضبه ، وهم بأن يبطش بالشاعر ، فلاذ الفردوسي بالفرار من غزوة ، وظل مخفيا بمدينة هراة ستة أشهر نظم فيها مائة بيت من الشعر هجا فيها السلطان هجاء لا ذعا موجعا . فلما سكن عنه الطلب خرج إلى طبرستان ونزل على صاحبها الأصمبيد شهر يار فأكرم مثواه وطيب خاطره ، واعتذر اليه عن السلطان بأن الأمر لم يرض عليه كما ينبغي ، واشترى منه هجو السلطان بمائة ألف درهم ، ثم عما ذلك الهجو من الشاهنامة عموما . بيد أن الفردوسي رأى أنه غير آمن على نفسه في طبرستان لأنها داخلة في حكم السلطان محمود ، فخرج عنها إلى العراق العربي ، ونزل على أميره سلطان الدولة البويهية . ونظم له قصة (يوسف وزليخا) وهي من قصص القرآن الكريم . والفردوسي يصرح في صدر هذه القصة بأنه نظمها تكفيرا عن إضاعته عمره في نظم الشاهنامة ، التي حشوها أساطير الفرس الأولين ، ولكن يظهر أن الفردوسي أراد بنظم تلك القصة أن يلائم بين نفسه وبين البيئة العربية التي أدى به تطوافه إليها

ومهما يكن من شيء ، فلا شك أن الفردوسي رأى نفسه غريبا بالعراق ، وأن سراج حياته يوشك أن ينطفئ ، وأحب أن يوافيه أجله في مسقط رأسه ، قريبا من ابنته ووسط أهله ومشركه ، وهون الطلب عليه أن السلطان كان قد ذهب عنه غضبه عليه ، وأن أمره كان قد نسي أو تنسى ببلاد غزوة . فخرج من العراق شاخصا نحو طوس ، فبلغها شيخا قانيا مهود القوى قد جاوز الثمانين

وتذكره السلطان محمود في ذلك الوقت . وذلك أنه كان راجعا من الهند إلى عاصمة ملكه ، فمرض له نأثر في قلعة حصينة ، فأرسل السلطان إلى النأثر رسولا أن « إيت غدا . وقدم الطاعة واخدم حضرتنا ، والبس التشریف ، وارجع » فلما كان النقد ركب السلطان وإلى جانبه وزيره أحمد بن الحسن البمندی . فلما بصر السلطان بالرسول مقبلا قال للوزير « ترى ماذا يحمل من

قومه بهذا العدد . فالشاهنامة تمى بأبسط عبارة وأبلغ تصوير
تأريخ الفرس القدماء ومفاخرهم وآدابهم وأساطيرهم . لذلك
أضحت في حياة ناظمها - وهذا أمر منقطع النظير - ملحمة
قومية ، ولم يمض طویل زمن حتى غدت « قرآن القوم » على
حد تعبير صاحب المثل السائر

لقد أدى الفردوسي « رسالته الخاصة » أحسن الأداء ، وأصبح
فضله على قومه ولغته باقياً ما بقي قومه ولغته وقد عرف له قومه هذا
الفضل فذكروه في هذه الأيام فأحسنوا ذكره ، وشادوا فوق رفاته
بناءً عالياً ، وهذا جهد شئونة الحى للميت . وإن الإنسان ليذكر
في هذا المقام دانتي الأيطالي ، وكوردياس اليوناني ، فكلاهما أذكر
الروح القوي في بلده ، وجدد بمجهوده الخاص دارس لغته ، هذا
بشره ، وذلك بشمره .

عبد الحميد الباري

(البقية في العدد القادم)

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفاءك

صحتك في العشرين

شعر الجبر والجمال (لدرتبه)

مترجمة بقلم

محمد حسن الزيات

والقصة قطعة من شباب لاسرتين ، وجندوة من
شعوره ، ولحن من شعره . طبعتها لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعة أنيقة منقحة رخيصة فاطمها منها أو من إدارة
الرسالة أو من أي مكتبة ، والتمن ١٢ قرشاً

وسيروا فارس أقلباً من أقاليم الخلافة العربية ، وانتشر الاسلام
بمقرب ذلك في فارس حتى كاد يقضى على الدين الزرادشتي ، كما
انتشرت العربية بين الفرس حتى أخلت الفهلوية وكادت تحوها
قبل الفرس الاسلام عن طواعية نفس وطيب خاطر . أما
القومية فقد جامدوا من أجل الاحتفاظ بها جهاداً عظيماً . وقد
تطور هذا الجهاد من مجرد مطالبة بالحقوق العامة قام بها الموالي زمن
الدولة الأموية ، الى مؤازرة للتأثرين عليها من الخوارج والشيعة ،
الى ثورة عامة أنجبت عن سقوط الدولة الأموية العربية ، وقيام
الدولة العباسية التي كانت فارسية في أكثر أوضاعها العامة ، الى
الى استقلال سياسي يسره ضعف السلطة المركزية يفتداد ، الى
سمى حثيث في أن يكون للفرس وجود قوي صحيح
الى هذا المجهود الضخم الموجه الى الاحتفاظ بالقومية ، قام
الفرس بمجهود آخر رائع من أجل إنعاش لغتهم وتعميم استعمالها
في بلادهم .

لقد طفت العربية على الفهلوية في العصر العربي الأول طغياناً
كان من أثره أن انحصر استعمال هذه اللغة في حدود إقليمية ضيقة :
في فارس وخراسان وطبرستان ، ولم تسلم الفهلوية في ماقبلها
هذه من التأثر بالعربية ، فقد أصبحت تكتب بالحرف العربي
ودخلها الفاظ وتعاير عربية أصلها الى طور جديد من تاريخها
عرفت فيه بالفارسية الحديثة . وبشبه الشهور القوي عم استعمال
اللغة المذكورة في تلك الأقاليم الثلاثة ، حتى كادت العربية تنمحى
من بعضها ، كما يؤخذ من قول المتنبي : -

مقاني الشعب طيباً في المقاني بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنسة لو سار فيها سلبان لسار بترجانات
وقد عول سياسة الدول الثلاث : الطاهرية والصغفارية
والسامانية ، على أن يجملوا الفارسية الحديثة لغة أدب وثديين ،
فشجعوا الشعراء على النظم بالفارسية ، وأمر السامانيون بتدوين
تأريخ قومي للفرس ، ونظمه بهذه اللغة كما تقدم القول

وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزه الفرس في أمر قوميتهم
ولغتهم ، فإنهم كانوا في أواخر القرن الرابع بحاجة الى مدد أدبي
ممتاز يمتد في القومية الفارسية روحاً قوياً ، وبشت دعائم
الفارسية الحديثة وينصبها على أساس ثابت ، وقد آمد الفردوسي

في توثيق المصري

مجالس الأدب في القرن الثامن عشر برار رضوان بك للأستاذ محمد فريد أبو حديد

جديرة بما يصفها به المهتمون المفترون :

كانت أمور مصر في منتصف القرن الثامن عشر قد خلصت إلى اثنين من الرعاع : أحدهما الأمير إبراهيم ، والآخر الأمير رضوان . وقد أصبحا صاحبي الأمر في البلاد لا يتازعهما إلا المنافسون في دخائل صدورهم ؛ وأما ظاهر الأمر فلم يكن لها فيه شريك . حتى أن الباشا العثماني الذي كان يمثل السلطان لم يكن له إلى جانبهما أمر ولا نهى

ولقد كان لكل من هذين الأميرين متجه يتجه إليه في سياسته ، فكان إبراهيم صاحب السلطان ، وقائد الجيوش ، ومدير السياسة ؛ على حين كان رضوان مؤلف القلوب ، وقبلة القصاد ؛ وكان الأمران على اختلاف اتجاهيهما متفقين متآلفين ، فقضيا في سياستهما سبع سنين ونيفاً

وكان بيت رضوان يتألق بالأنوار الساطعة ، ويخلم عليه الفن المصري رواءه وبهاءه ، وتجتمع في أبياته هلمات الضر من الأدباء والعلماء ، وقد كان عصر حينئذ في الحق أدياء وعلماء ، على رغم من يتهم هذا العصر بالظلمة والانحطاط

هناك على ضفة الخليج المصري اشترى رضوان داراً من أحد أكابر التجار ، كانت واقعة على بركة الأزبكية ، وموضعها اليوم ما يلي حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا . وكانت تلك البركة إذذاك متزهة من متزهات القاهرة المحبوبة ، تحيط بها بيوت أعيان التجار والأمرء . وكان للأمير رضوان فوق ذلك في الناحية الشمالية الغربية من هذه البركة منظره بديمة تعلل من الغرب على الخليج الناصري ، ومن الجنوب على بركة الأزبكية ، ومن الشمال على بركة أخرى استحسها الأمير بتومسيح مجرى الماء في الخليج القاهري مما يلي قنطرة الدكة . وقد نسق الأمير قصره أبدع تنسيق ، وجعل لها حدائق نسيجة نقل إليها يدع الزهر والشجر ، وأقام في أركانها الجواسق الجميلة . وجعل في جوانب الحدائق مما يلي البركة قناطر لتجري المياه من تحتها ، واتخذ فوق تلك القناطر مجالس للترفة والاسترواح . وأما داخل القصور فكانت القباب العالية المحلاة بذوب المسجد ، واللازورد ، والزجاج الملون ، وقد نقشت أعاليها وأسافلها بأروع النقوش وأدقها . وكانت الأنوار تسطع في هذه القباب في أثناء الليل فتكاد تحطف الأبصار من بهائها وروائها وفي هذه الأثناء التي تأخذ بمجامع القلوب كان يجتمع أدباء

واعتاد الناس سماعه أن يقول قائل : لا حباً لله أيام القرن الثامن عشر في مصر ! وقد لا يتورع القائل أن يرى ذلك العهد بأقبح سبه وشنع الآراء : فيصفه قارة بالظلم ، وقارة بالظلمة ؛ وما أكثر سماع الأذان ذكره مصحوبة بنسمة لاذعة ، فلا يقال إلا أنه كره عهد المالك ، أو عهد ظلم العثمانيين . وليس في ذلك عجب ، ومن كانوا قديماً لا يرون الماضي على حقيقته ، فهم إما أن يروه عصر عظم من عصرهم لا يستطيع حاضرم أن يجاريه في شيء ، وإما أن يروه عهداً دون عهدهم لا يرضون أن تقاس حال أيامهم به . والله كالناس تختلف في الحفظ وتبائن ، فكأن بعض الناس يكسب من الحد فوق ما يستحق ، وينسب إليه من كرم الخلال ما ليس من طبعه ، فكذلك الأيام ، قد يمت الناس ببعض عصورها بما ليس من حقه ، وينسبون إليه من الفضائل أكثر مما يجدر به ، وقد أرن بعض الناس قد يسلب جزاؤه ، ويجمد حسنته ، وينكر عصره ، فكذلك قد يظلم التاريخ عهداً من العهود ، فلا يقر له بفصر ، ولا يحجم في وصفه عن تهمة ، ولا يترض له إلا بالأذى . وقد كان عصر أمراء المصريين من هذه العصور الظلومة التي حصد التاريخ فضلها ، وأذاع مثالها ، وأخفى مناقبها ، وصورها صورة مشوهة بغيضة . ولستأ بسبيل بيان الأسباب التي حمت التاريخ على ذلك الظلم ، ولكننا نكتفي بأن نقول إن الأحياء قد يكور لهم نفع من اتهام الأموات ، وقد يعود عليهم بعض الخير من الاقتراء على الجدود . ولا حاجة بنا إلى التبوليل في دفع هذا الاتهام ولا في دفع هذا الاقتراء ، فما في هذه الأطالة بتحقيق لقصد . وحسبنا أن نصف مجلساً أدبياً في بعض هذه الأيام الماضية ، وللقارى أن يحكم من هذا الوصف إذا كانت تلك الأيام الفائرة

المصر وأعيان العلماء يتسارعون في حضرة الأمير المحبوب ، ويتجاذبون أطراف اللعج والبرادر في حشمة ووقار لا يخرج منهما أحد . وكان من هؤلاء أديب العصر الأعظم قاسم بن عطاء الله المصري ، وصديقه مصطفى أسعد الدمياطي ، وإلى جانبهما جمع باهر من شيوخ وشبان ، بعضهم للجد والوقار كالشيخين الشبراوي والحفني ، وبعضهم للفكاهة كالشيخ عامر الأنبوطي الهجاء

واجتمع مجلس الأدباء يوماً في القصر ، وإذا بالأمير يسأل عن أحدهم فلا يجده . قال : « أين ابن الصلاحى ؟ » ولم يكده ينتهى من سؤاله حتى رد في جانب البهو صوت جهورى ينشد :

شاق طرف السرور طرف الريع فتعلى بحسن تلك الربوع
ما ترى الزهر ضاحكاً لبكاء السطل من در قطره بالدموع
وغصون الرياض تخلق أنواراً ب التدانى على الندى الخليج
فأنسنا بجمع إخوان صدق زان طبع الوفاء قدر الجميع
بإصلاح أرح قوادك والبس من بشير اللقا قميص الرجوع
فالتفت المجلس كلهم نحو القادم فإذا هو الذى كان يسأل
الأمير عنه : وصاح الشيخ عامر قائلاً : « لقد ذكرنا القبط ... »
فضحك الجمع ولم يمتنع عن الضحك الأمير ، وجلس الأدباء بعضهم إلى بعض في أمحاء البهو الأعظم من قصر رضوان ، وجلس الأمير على سرير عال من آيات الفن المصرى ، جوانبه من الخشب المخروط ، نكتتفه وتخاله رسوم من العاج والآبنوس والصدف ، وقد كُسيّت جوانب السرير بالحرير الملون البديع ، تنغير ألوانه في ضوء المصابيح التالفة كما تتغير الألوان إذا وقع الضوء على رقاب الحمام القرمزى الداكن .

وانجبه الأمير إلى الأديب الأكبر ابن عطاء وأقبل عليه باسمها وقال له : « ماذا جئت به اليوم يا ابن عطاء ؟ لقد رأيتك بالأسى تسير بين أشجار البستان ، فقلت في نفسى لا بد أنك متحفنا اليوم بشيء جديد » .

فابتسم الأديب وقال : « الحق ما تقول أيها الأمير ، دامت نعمتك ، وأقر الله أعيننا ببقائك وعلو دولتك »
فقال له الأمير : « إذن فهات ، وقد أحضرت لك الشيخ عامر الأنبوطي عمداً »

فصاح الأديب ابن عطاء وهو باسم وقال : « أعوذ بجاهك منه أيها الأمير ! »

فصاح عند ذلك الشيخ متدخلا في الحديث « وماذا تخشى يا ابن عطاء ؟ أليس لكل منا منه ؟ »

فنظر إليه ابن عطاء وهو باسط يديه بسطة الرجاء وقال : « لقد عذت بكف الأمير من لسانك ، فدونك سواى إذا شئت »

فقال الأمير ضاحكاً : « إذن أنا مجير منك يا شيخ عامر » وضحك الشيخ عامر وقال : « إذا شئت أيها الأمير ، فلقد والله قضيت الليلة الماضية أشهد لسانى وذهى لزاله . وقد والله موت على مريستى »

فضحك السدى وأنصت بعد لآى لدحة الأديب ابن عطاء :
فأنشأ يقول :

بكت بسمع الطل عين الزجس فأضحكت نثر الأقاح الألس
واستمر في مزج وجهه بصف البستان حيناً والماء حيناً .
فيقول منها :

حديقة بها السرور عذق جدولها مسلسل منطلق
في جوه نجم الزهور مشرق والبان ظله غدا يشرق
من وجنة الماء احمرار الورد

ثم تخلص إلى ذكر الحب على سنة الأقدمين من الشعراء ، وتخلص من ذلك إلى مدح رضوان فقال :

دع علة التعليل بالأمانى واقصد حى الموصوف بالأمان
وانف لباس البؤس والأحزان واسأل عن النسيم من رضوان
سَلْ ما تريد ، لا تخف من رد

ملكنا جلت لنا أوصافه لم يبد في غير المطا امرافه
ضياؤه قرت به أضياؤه تفعل في جيش المدى أسيافه
ما يفعل الصرصر يوم الحصد

إلى أن أكل مدحته بين اهتزاز الأمير وأعجاب السامعين ، لولا ابتسامه عابثة من الشيخ عامر وهو ينظر إلى الأمير .

فقال له الأمير : « وما تستطيع أن تقول في هذا يا شيخ الهجائيين ؟ »
فقال الشيخ : « لأقول في هذا شيئاً مادام فيه ذكرك ومديحك أيها الأمير : ولكنه لو لم يستمد بك وجدنى قائلاً »

فتحرك الأديب ابن عطاء حركة غضب وأنفة وقال :

« أيسمح لى الأمير أن أرد عليه جواره إلى حين ، لا حرمنى الله جوارك ، فان هذا الشيخ قد ظن أننى أتوارى منه ضعفاً ؟ »
فتبسم الأمير وقال : « ناله بمنزلة أخرى جديدة إذا شئت »

أن يترك دأبه من الوخر فقال ناظرًا إلى الشاعر الآخر :
« وما لك أنت ؟ لكأن بك قد تحركت غيرتك . غير
أنك لست بمستطيع اليوم أن تقول شيئًا . فقد ملك اليوم ابن
عطاء » . فقال الأمير مدافعًا عن الدمياطي :

« وما لك أنت يا شيخ عامر ؟ أنسيت مدحته العظمى ؟
أنسيت مدامته الأرجوانية في المقامة الرضوانية ؟ لقد ينقطع همر
الكثيرين دون مثلها »

فقال الشيخ عامر ولم يشنه دفاع الأمير :
« إن هي إلا بيضة الديك » وأشار إلى الشاعر ، ثم صاح
كما يصبح الديكة فضحك الجلوس من كلفته وصيحه . واحمر
وجه الشاعر الدمياطي ، وقال غاضبًا :

« لو شئت المهجاء لهجوتك ، ولكنتك أقل من أن أهجرك ،
فاسمع إذن مدحتي في زين الملوك وأقر بمجزك وصفارك »
ثم اندفع يقول :

بشرى الربيع لقدوافت بشائره وفتح دونك في الآفاق عطره
ومالت القصب بالأطيار مطربة وقد تبسم من عجب أزاهره
فسر مقدمه الحالى أفا شجن يهيجه من معاني الدوح ناضره
ثم أوغل في وصف الربيع وزهره ونسيمه وعطره ، فأبدع
وأطرب إلى أن تخلص من وصفه المتع إلى مدح الأمير فقال :
والزهر من فرح أهدي التارها لما ما الورد واستعانت مظارها
حكى بمنظره الحالى ونجبه صفات رضواننا الساي زواهره
أمير جسد لنا تلى مدائحهم مدى الزمان كما تروى مآثره
تخاله الليث والريخ في يد إذا بدا حائلًا والسيف شاهره
روض نصير ولكن مثير أبدا غيث ولكن ندى عمت مواطره
وما زال ينتقل في ذلك المدح من معنى إلى معنى إلى أن قال :
خذ من زمانك ما أغناك مقتنا وأنت فاه لهذا الدهر آمره
ودم بروض العلاء والمزنبسط عطربات الهنا يشدوك طائر
فصفق الأمير طربًا عندما بلغ الشاعر ذلك ، وصاح بالشيخ
عامر يقول :

« عزمت عليك يا شيخ إلا ماقت إليه وقبلت رأسه كما
فعلت بالأديب ابن عطاء ، فما هو بدونه مرتبة في الشعر ولا في
الولاء . ولكم جميعًا منى أسنى جائزة »

فصاح الشيخ عامر وظنها فرصة في ابن عطاء فقال : « أصبت
القصد لا زلت موفقًا أيها الأمير »

فاهتز ابن عطاء وقال : « نعم إذا شئت أيها الأمير ، إن عفوى
خير من اعدادى ، وإذا شئت قلت »

فأذن له الأمير وتطلع الحاضرون إلى الأديب يظنون أنه
سيصف ويتمرض لطعنات منازل الهجاء . فقال ابن عطاء :
ترك الهجر ووافى كرما عندما كان لمهدى قد نسى
أهيف القد كفصن عليمًا من نسيم الروض فنم اليأس
فاهتز الأمير وقال : « هيه يا ابن عطاء ! »

فسرت في الشاعر هزة جديدة واستمر يقول :
مفرد في الحسن نبي معجبا ألف القد بشكل حسن
غصن بأن هزه ريح الصبا خلد زهره على الورد الحني
ساحر الجفن أرانا عجبا أسره للأسد حال الوسن
وما زال بالسمط وراء السمط ، والمقد من مد النقد ، حتى
تخلص إلى مدح الأمير على عادة إلى أن ختم موشحه قائلا :

كفنه الليث على الناس هي فأعاد الخصب بعد اليأس
أصنبح الدهر به مبتسما وهو في فيسه محل اللبس
فزل إليه الأمير من مريه وطائفه وقال له : « بثلثك
تردان مجالس الملوك يا ابن عطاء ، ووالله لو لم أجد من المال إلا
قوت يومى لما وجدت له محلاً أحب إلى من إهدائه إليك »
ثم التفت إلى الشيخ عامر وقال :

« لقد أنطقه الولاء أيها الشيخ فماذا نستطيع أن نقول ؟
فقام إليه الشيخ الهجاء وقبل رأسه وقال :
« يا أمير الشعر قد رثنا إليك »

فصاح الشيخ مصطفى اللقيمي الدمياطي من جانب
المجلس وقال :

« أما الأمانة فلا تراها في الشعر . إن هي إلا في تلك
السياسة ، وهذه الدولة والرياسة . فدع عنك التعرض لهذا ، فما
أظنك مصيبًا من الجائزة شيئًا »

فضحك الحاضرون شابة في الهجاء الذى لم يترك من أهل
الشعر ولا من أهل العلم أحداً إلا وتره وحرك حنقه

وكان الشيخ الهجاء قد انكسر عند ذلك ، غير أنه لم يرض

الغزو الاقتصادي الياباني

لأسواق العالم

وأثره في الاقتصاد المصري

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تقدمة

استطاع الغزو الاقتصادي الياباني أن يحدث أثره في معظم الأسواق القديمة بسرعة مذهلة . وقد قال ميسو هيروتا وزير الخارجية اليابانية في إحدى تصريحاته الأخيرة إن هذه النهضة الصناعية والتجارية التي تضطلع بها اليابان إنما هي ثمرة العمل والمثابرة ، ولا تعتمد على وسائل غير شريفة ، وليس وراءها أية نزعة عداوية . وقد بينا في مقالنا السابق ظروفاً من الظروف والأحوال الاقتصادية المشجعة التي تعمل فيها الصناعة اليابانية ، ولكن اليابان لا تستطيع بمثل هذه التأكيدات أن تهدى ما يتهى غزوها الاقتصادي في معظم الدول الصناعية والتجارية من عوامل الخوف على مستقبلها الاقتصادي . ويجب أن نذكر أن النفوذ الاقتصادي إحدى الوسائل القوية التي يعتمد عليها الاستعمار الغربي في توطيد نفوذه وسلطانه في أفريقيا وآسيا ، وأنه يكون غالباً طليعة الفتح السياسي وذريته ، فإذا اضطربت دعائم هذا النفوذ الاقتصادي ، اضطربت دعائم السيادة الاستعمارية التي تقوم عليه ؛ والتحرير الاقتصادي دعامة قوية للعمل في سبيل التحرير السياسي . فالدول الاستعمارية التي يزعمها الغزو الياباني لا تقف في مقاومته عند تقدير الاحتمالات الاقتصادية وحدها ، ولكنها تنظر إلى آثاره من وجهة أشد خطراً وأبعد مدى وهي وجهة مستقبلها الاستعماري

ولا ريب أن بريطانيا العظمى في مقدمة هذه الدول ، بل هي أولها وأسبقها إلى التأثير بهذه المنافسة الخطرة التي تهدد نفوذها الاقتصادي والاستعماري في معظم أرجاء امبراطوريتها الشاسعة ، وتخلق لها مشكلة امبراطورية في متنتهى الخطورة . ذلك أن بريطانيا العظمى تعتمد كثيراً من أسباب غناها وقوتها وعظمتها من نفوذها الاقتصادي وتفوقها الصناعي والتجاري ؛ وهذا النفوذ

تقام الشيخ إلى الشاعر وقبل رأسه وهو يقول :
« وما لكم لا تشكرون لي وخزاني . أيها الأمير أكننا نظفر
مهما بهاتين الدرّتين بغير وخزات لساني ؟ »

فضحك الأمير والحاضرون منه وقال رضوان :
« أتذكر البيت القديم يا شيخ عامر ؟ لقد قلته لي منذ أيام
قلولاً أن النار تحرق ما حولها ما ثم أحد راحمة الـ . . . »
فقال الشيخ منشد البيت :

لولا اشتعال النار فيها باورث . ما كان يعرف طيب عرف العود
فقال الأمير « هو هذا . هو هذا . لقد حفظت ممناه ولكني
لا أقوى على حفظ لفظه . » ، ثم نظر إلى مملوك واقف إلى يمينه ،
وقد وضع يديه على صدره تأدباً وقال له :

« يا محمود ، اذهب إلى خازنكاري ، وبلغه أمرى باحضار
ما اعتدت بذله في مثل هذا اليوم »

ولم يخرج أحد من الحاضرين في ذلك المجلس بغير ما رضى به ،
غير أن الشيخ الحفي أبي أن يأخذ شيئاً من الأمير ، بل قبل الأمير
يده وسأله اللثاء ، وخرج الشيخ الوقور وهو يدعو للأمير
بالتوفيق والهداية »

وكان الشاعر ابن الصلاح في كل ذلك متواضعاً ساكناً لم
يثر لفيرة ، ولم يتقدم لمنافسة ، بل كان يطرب كما يطرب الحضور
ويعجب كما يعجبون ، ولما أوشك عقد الجمع أن ينفرط دفع
عقيقته فأنشد مرثجلاً :

بامساء السرو وكيف اختلسنا فيك أنسا كأنما هو شك
قد أنسا في فتحه بالتداني ودهانا ختامه وهو مسك
ثم سار وهو يقول مرثجلاً :

إلى القبة الفيحاء سرنا فسرنا ربيع المنى في ثمر طلعها النمر
أنسا بها من كل بحد ولا نرى

عجيباً طلوع البدر في القبة الخضراء
فنظر إليه الأمير رضوان مبتسماً وقال : « هيه يا ابن الصلاح
لقد فوت علينا الليلة بغير إنشاء منك » فقال الشاعر باسمًا وهو
ناظر إلى الأرض « دمت للملك يا مليك الزمان فالمود أحمد » ،
ثم حيا الأمير وشار في أثر صبيبه خارجاً

بحر فرب أبو صبيد

الردى*، استطاعت أن تتقدم في الصناعة القطنية حتى أصبحت في إنتاجها ثلاثة دول العالم بعد الولايات المتحدة وانجلترا؛ ويبلغ ما تصدره اليابان من البضائع القطنية نحو ٢٠٪ من مجموع صادراتها، واليابان تستورد كميات عظيمة من القطن الردى* من الهند والولايات المتحدة ولا تستورد سوى كمية ضئيلة من القطن المصرى. وقد بلغت قيمة ما استوردته في سنة ١٩٣٠ من القطن فقط ٣٦٢ مليون ين (نحو ٢٤ مليون جنيه) ولكي يستطيع القارى* أن يقدر مدى تقدم التجارة اليابانية في مصر نضع أمامه الأرقام الآتية عن قيمها في الأعوام الأربعة الأخيرة :

سنة	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
ج.م	١,٧٣٢,٠٧٧	١,٥٣٥,٢٨٢	٢,١٥٢,١٤٠	٢,٨٧٣,١٣١
فق أقل من عامين زادت الصادرات اليابانية إلى مصر نحو ٤٠٪، وأصبحت التجارة اليابانية في مصر سنة ١٩٣٣ تعادل نحو ١٢٪ من مجموع تجارة مصر الخارجية (وقد بلغ في هذا العام ٢٦,٧٦٦,٩٩١)				

وتحتل البضائع القطنية والحريرية أكبر نسبة في الصادرات اليابانية إلى مصر؛ وقد نمت نسبة الصادرات القطنية بسرعة مذهلة في الأعوام الثلاثة الأخيرة كما يتضح من البيان الآتي : مقدار ماورد إلى مصر من البضائع القطنية والحريرية اليابانية مقدرًا بالجنيه

سنة	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
بضائع قطنية مخففة (٧٦١,٢٣٤ ج.م تقريباً) ١٢٨٤,٢٨٧٧			
« حريرية » ٦٢٦,٨٧٤			٥٠١,٩٢٠

ومن ذلك يتضح أن الصادرات القطنية اليابانية إلى مصر بلغت نحو ثلاثة أمثالها في ظرف عامين؛ ومن المحقق أن هذه النسبة قد ارتفعت في العام الحالى (الذى لم ينته بعد) وسوف ترتفع باطراد إذا استمرت الأمور على حالها

وقد كانت منتجات لانكشير (انجلترا) القطنية حتى أعوام قلائل تحتل المكان الأول في مصر، كما أن لانكشير أكبر عميل لمصر في شراء قطنها؛ ولكن المنافسة اليابانية كانت شديدة الوطأة على الصناعة القطنية البريطانية في مصر والهند

الاقتصادى أقوى دعامه في صرح سلطاتها الاستعماري؛ فإذا تقوضت دعائم هذا النفوذ اضطرب بناء الامبراطورية كله. وبريطانيا تشمر اليوم بأن تقدم الفوز الاقتصادى اليابانى بهذه القوة المدهشة يرضها لمثل هذا المآزق الدقيق؛ وتشمر باقى الدول الاستعمارية مثل فرنسا وهولندة وإيطاليا، بأنها تواجه نفس الخطر؛ وترى الولايات المتحدة أسواقها القديمة في أمريكا الجنوبية تفلت من يدها لتذهب الى قبضة منافستها الآسيوية؛ وتعمل الدول الغربية جميعاً لرد هذا الفوز كل بوسائلها الخاصة، وقد زارها غير بعيد تحاول رده بوسائل مشتركة إذا عجزت عن مقاومته منفردة كما حاولت أيام غزو اليابان لمنشوريا وتقدم الاستثمار اليابانى في الصين وقد يكون الفوز الاقتصادى اليابانى من هذه الناحية أعنى من ناحية العمل على تقويض نفوذ الدول الغربية الاقتصادى في أفريقية وآسيا وإضعاف سلطاتها الاستعماري بذلك، خليقاً بعطف الأمم الشرقية وتأيدتها، خصوصاً وأنه لا يبيت وراء مطامع استعمارية، — واليابان تقف بأطباعها الاستعمارية عند الصين وسيادة الباسفيك —، وهو خليق بعطف الأمم المنكوبة بقدر ما يحدث للأمم الغربية الغالبة من صعاب ومتاعب تفت في بنائها الاقتصادى وسيادتها الاستعمارية؛ ولكن العطف على جهود اليابان من هذه الناحية العامة، يجب ألا يحول بيننا وبين تقدير العوامل والآثار الاقتصادية الضارة التى ترتب عليها من الوجهة المحلية؛ وما يستتبع قبل كل شئ. هو بحث هذه الآثار في اقتصادنا المصرى، فقد أخذت طلائع الفوز اليابانى تحدث أثرها في السوق المصرية بسرعة، وتثير من العوامل والاحتمالات ما قد يعرض مستقبلنا الاقتصادى الى أخطر النتائج إذا لم نتخذ الوسائل اللازمة لتوطيده وحمايته

ذلك أن محصول مصر الرئيسى. ونمى القطن يرتبط أشد الارتباط في إنتاجه وفي تصريفه بصناعة القطن البريطانية؛ هذا ومن جهة أخرى فإن في مصر الآن صناعات قطنية هامة يجب حمايتها وتشجيعها على التوسع والنمو؛ والصناعة القطنية اليابانية تتقدم بسرعة ويحدث هذا التقدم أثره السى* في الصناعات القطنية البريطانية التى تستهلك أعظم كمية من القطن المصرى؛ ومن الغريب أن اليابان مع كونها لا تنتج سوى قليل من القطن

وفي معظم الأسواق الأوروبية ؛ وقد أصابت هذه النافذة تجارة لانكشير في الهند بخسائر فادحة ؛ ورفعت حكومة الهند الرسوم الجمركية على البضائع القطنية اليابانية مراراً حتى بلغت ٧٥ ٪ ، ومع ذلك فإن ذلك لم يحقق للتجارة البريطانية ما كانت تتمتع به في الهند من التعوق ؛ واضطرت بريطانيا العظمى أن تجرى في ذلك السبيل مع اليابان مفاوضات خاصة وأن تقدم معها اتفاقاً تجارياً خاصاً تحصل به على بعض المزايا نظير تحديد المنسوجات القطنية اليابانية الصادرة إلى الهند بأربعمائة مليون ياردة تحصل عليها رسوم جمركية قدرها ٥٠ ٪ من قيمتها . أما في مصر فما زالت تجارة لانكشير في انحطاط مستمر ، وقد هبطت تساعاً في الأعوام الثلاثة الأخيرة بسرعة يوضحها البيان الآتي :

مقدار ما استورده مصر من المنسوجات والبضائع القطنية من انكلترا

سنة	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
ج . م	١,٧٤٢,٠٠٠	١,٥٦٥,٤٦٦	١,٢٣٢,٨١١

ويتضح من ذلك أن ما استورده مصر سنة ١٩٣٣ من البضائع اليابانية القطنية يزيد عما استورده منها من انكلترا بنحو ستمائة ألف جنيه ؛ وأن اليابان أصبحت تحتل المكان الأول في الصادرات القطنية إلى مصر بعد أن كانت انكلترا تحتله باستمرار ومن ذلك نفهم مدى جزع لانكشير من تدهور مركزها في السوق المصري ؛ وهو جزع يبدو فيما يتعلق به الصحف الانكليزية على هذا الموقف ، وفيما يندره أقطاب الصناعة البريطانية من وقوع رد الفعل على مصر ذاتها حيث تضطر المصانع البريطانية أن تقلل من شراء القطن المصري إذا استمرت الحال على ذلك . وهذه هي أخطر نقطة في الموضوع بالنسبة لمصر . ذلك أن ما استورده مصر من مصنوعات انكلترا القطنية لا يتناسب مع ما تشتره انكلترا من القطن المصري ؛ وإليك مقدار ما اشترته انكلترا من قطننا في الأعوام الثلاثة الأخيرة :

	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
ما قيمته	٦,٤٦٩,٢٠٤	٥,٥٢٧,٣٩٣	٨,٧٦٧,٢٨٠ ج . م
ويقابل ذلك ما تشتره اليابان وهو :			
ما قيمته	١,٢١٣,١٦٢	١,٠٧٨,٢٨١	١,١٦٨,٥٢٨ ج . م

فانكلترا تشتري من قطننا في العام نحو ٤٠ ٪ منه بينما لا تشتري اليابان أكثر من ٦ أو ٧ ٪ ، ومع ذلك فإن اليابان تصدر إلى مصر من البضائع القطنية أكثر مما تصدره انكلترا والنتيجة المحتومة لذلك ، إذا استمر هذا الوضع الشاذ ، هي أن لانكشير ستضطر إلى أن تقلل شيئاً فشيئاً من استهلاكها للقطن المصري مادامت لا تجد أسواقاً لتصريف منتوجاته ؛ وعندئذ يقع الضرر الحقيقي على المنتج المصري

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن في مصر صناعة قطنية ناشئة تضطلع بها شركة مصر ، وتوظف فيها ملايين عديدة من الأموال المصرية ؛ وقد قطعت شركة مصر لنزول القطن وسججه خطوات كبيرة في أعوامها القلائل وأصبحت أعظم منشأة صناعية في مصر ؛ وهي تستهلك كل عام مقداراً كبيراً من القطن المصري وتعد السوق المحلية بكميات عظيمة من المنتوجات القطنية المتقنة الصنع المعتدلة الثمن مع ذلك . وكان ما استهلكته سنة ١٩٣١ من القطن المصري ٢٢,٣٠٨ قناطر فزاد في العام التالي إلى ٥٠,٧٧٥ قنطاراً وفي الذي يليه إلى ٩٧,١٤٣ قنطاراً ، ثم زاد في العام الماضي (١٩٣٤) إلى ١٥٢ ألف قنطار . وزادت منتوجاتها من النزل والنسيج تبعاً لذلك زيادة كبيرة حتى وصلت (سنة ١٩٣٤) إلى ١٣ مليون رطل من النزل ، وإلى ٢٥ مليون ياردة من النسيج . وهي تسير بسرعة في سبيل التقدم وتتخذ الأبهة لمضاعفة أعمالها ومشاريعها ، بحيث يتضاعف ما تستهلكه من القطن المصري عاماً بعد عام ويتضاعف ما تنتجه من النزل والنسيج

ولكن هذا الصرح الاقتصادي العظيم يجد نفسه اليوم أمام غزو البضائع القطنية اليابانية الرخيصة للسوق المصري ، وهو غزو يشتد أثره يوماً بعد يوم ، وتجده هذه البضائع الرخيصة في السوق إقبالاً سريعاً تشجعه وتذكبه الأزمة الاقتصادية ؛ وقد بينا كيف تعمل الصناعة اليابانية في ظروف مدهشة تمكنها من هذا الغزو ، والصناعة القطنية اليابانية تستعمل القطن الردي . الرخيص ، الهندي أو الأمريكي ، في حين أن شركة النزل المصرية لا تستعمل سوى القطن المصري ، لكي تدافع بذلك على استهلاكه ، وتحقق الأغراض الاقتصادية القومية التي قامت من أجلها ، فإذا استمر هذا الغزو الياباني دون اتخاذ ما يجب لرد ،

حول ١٩ يناير

للأستاذ محمد محمود جلال

اليوم تبهر من السورس إحدى الحوارى المنشآت في البحر
علماً على تقدم العلم ونسخير القوى ، نقل الرهط الكريم من
رجال الزراعة والاقتصاد إلى بور سودان . وكنت أعد لتلك الرحلة
عدتي ، حتى حالت فجأة ظروف القاهرة دون ما تملقت به الأمنية .
فاللهم ندعو الله أن يقرن التوفيق بخطاهم ، ويسجل لهم هذه اليد
سابقين إلى الاعتراف سبقهم إلى خير العمل

ولعل هذه الرحلة الموفقة بلذن الله أولى الخطى ، ولعلها بداية
حزم ترقبه البلاد من قديم ، فتليها خطوات في مختلف ميادين
السي المجدى ؛ ولعلها بادرة التنبيه ، ولعل الله جل شأنه حين قدر
لها شهر يناير موعداً قد أراد أن يسدل على التفصيل من ستره ،
وأن يكون في المستقبل ما ينفض عن الماضي الغبار

فلقد مر « ١٩ يناير » وكأن لم يلحظه أحد ، فلم نزل كراه
إلا سطوراً نشرت بالأهرام من هيئة واحدة ، هي هيئة الحزب
الوطني ؛ حتى لكأنه يوم يمر كسواء ، وكأنه ليس ذلك اليوم الذي
أمسى على غصب صارخ ، وتفريق مهروع ، وعبث من القوة
بالحق عبثاً لم يرو التاريخ له مثيلاً

وبين « بور سودان » على البحر الأحمر و « بورسعيد » على
البحر الأبيض صحيفة من المجد كاد يطويها الزمان لولا كفالة
التاريخ ، وكوان من الذكريات والعبر من حق الجبل الجديد
علينا أن نسطها وننشرها ، ومن واجب الأدب المصري أن يمدل
لها أذن بضاعته وأعلى جهوده . فلم يزل الأدب منذ القدم قواماً
على الواجب والفضيلة ، يتحسس مواضعهما ، ويخرجهما في خير
التياب وأصدقها غذاء للأثم في حياتها ، وإيقاظاً للنم فيها
تحاول من تصحيح وتهذيب

وإذا كان الشطر الأول من الاسمين أعجباً وخيلاً ، ففي الشق
الثاني من كليهما شفاء ورحمة للمؤمنين

فالرحوم (سعيد باشا) عزيز مصر أصبح في التاريخ — وبعد
أن خلقت سياسة الانجليز (حادثة وادى حلفا وتفتيش الجنود)
فاضطرت الخديو عباس الثاني إلى العودة إلى القاهرة — آخر من

واستمر لإقبال المصريين على البضائع القطنية الرخيصة ، عرست
الصناعة القطنية المصرية لمصاعب محمد من نحوها وتقدمها ،
وعرنت الملايين المصرية التي توظف فيها . والأبدى المصرية
العائلة التي تقوم بها ، إلى عوانب لا محمد ولا رضاها أي مصري
وما يريد أن ننوه به بنوع خاص ، هو أن الأمر هنا لا يتعلق
بالناحية القومية والواجب القوي في تشجيع الصناعات القومية ،
ولكنه يتعلق باعتبارات اقتصادية خطيرة . ذلك أن هذه
المسوجات الرخيصة تستهلك لردائها بسرعة ، في حين أن
المسوجات الجيدة التي تنتجها الصناعة المصرية من القطن المصري
تتميز بالتانة وبطول استهلاكها ، فهي بذلك أجدى وأوفر على
المستهلك الذي يقدر مصلحته الحقيقية . هذا ومن جهة أخرى
فإن الصناعة المحلية تستهلك قطناً مصرية ، وتعاون المنتج المصري
بذلك على تصريف أقطانه ، فإذا لم يساونها المصريون من جهة
أخرى باستهلاك منتوجاتها ، فلها تمجيز عن المضي في تحقيق
هذه المعاونة الاقتصادية الجلية

ولهذا كله يجب على مصر أن تفتن لما يهدد مستقبلها
الاقتصادي من جراء هذا النزو المفاجئ ، وأن تبحث في وسائل
الحماية السريعة لصناعاتها الفنية . وعبء هذه الحماية يقع على عاتق
الحكومة والأمة معاً . فاما الحكومة فمن واجبها وفي مقدورها
أن تلجأ إلى مضاعفة الحماية الجمركية لتحمي المنتوجات المحلية من
هذا السيل الدام ؛ على أن هذه الحماية وحدها لا تكفي كما
أثبتت التجارب الأخيرة في مصر وغير مصر ؛ وإنما يجب
أن تقرر في الوقت نفسه بمعاونة الأمة وتفضيلها للمنتوجات
القومية على سواها ؛ وهي هذه المعاونة لا تحقق واجباً وطنياً
فقط ، وإنما تخدم في الوقت نفسه مصالحها الاقتصادية .

محمد عبد الله عازم
المحامي

مجموعات الرسالة

تتم مجموعة السنة الأولى بمجلة ٣٥ قرشاً

تتم مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول والمجلد الثاني) ٧٠ قرشاً
وتتم كل مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

زار (الوجه السودانى) من ملوك مصر

وقد زحر التاريخ الحديث بفيض من خير الأنباء عن زيارته ، فأينما حل كان الاستقبال حافلاً ، سادراً من القلوب لا أثر فيه لرياء ولا مصامعة ، وحسبك من قرّة عين للملك أن يرى أبنية شاهقة وطرقاً ممهدة وإدارة مستقرة حازمة ، تماونت على تأسيسها وتمهيدها وإقرارها أيادٍ من أقاليم الوجه البحرى ، وأخرى من الوجه السودانى ، وثالثة من الوجه القبلى

ولعله رحمه الله أراد أن يختصر ذلك البناء المعنوى المدعم ، ويشهد العالمين — وفى مقدمتهم قناصل الدول — حين أشاع عزيمته على إخلاء السودان من بني الوجهين البحرى والقبلى ، فهب أبناء الوجه السودانى فى ألم وحيرة رجون ويلجون فى أن يعدل عن فكرة تنافى طبيعة الوجود . فأمن بأساس ملكه وحصل على ما أراد من التجربة

وإني لأذكر فى ألم ومرارة كيف أصبح مجلس النواب بالقاهرة خلواً من أبناء السودان وقد كانوا زينة المجالس الأولى ، فقد كان الوجه السودانى ممثلاً بعدد بوازي نواب الوجه القبلى وفى عام ١٩١١ أبان المرحوم (أبانا باشا) رئيس الجمعية الجغرافية فى بحث له بالوثائق المصرى أن مقارنة المقام التى عثر عليها فى المقابر تثبت أن الذين يقطنون وادى النيل من عنصر واحد ثم انظر بعد ذلك تلقى الوحدة فى اللغة وتلقها فى الدين وتجمدها فى المرف كما تجدها فى العادات

ولكنك حين تبحث فى القاهرة وهى قلب البلاد تأخذ قلبك حسرة لاذعة . فلست تجد فيها بين مظاهرها المختلفة مظهراً واحداً يدل على تلك الوحدة الطبيعية ويشير إلى هذه الروابط الوثيقة بين ظهرائنا نجمة من الشعراء ، سجلوا كثيراً من الحوادث ذات البال ، حتى امتد فضلمهم إلى شئون تبعد عن مصر ، وقد خلت دواوينهم من ذكر السودان وشؤونه ، بل لم تنوّه قصيدة بتلك التجربة التى قام بها المرحوم سعيد باشا ، وفى عرق أنها وحيدة فى التاريخ الحديث

أعترف أن النظر والمعاينة أكثر العوامل إحصاءً . ولكن التاريخ ما يزال للكثير من الكتاب والشعراء مصدر وحى من أعز المصادر . يتناول الفريقان من كآس دهاق من روعة وقبض من غداء

بل إن الروعة المنوية لحادث كبير أو تصرف حميف ،

أو خلق كريم ، لتكون فى كثير من الأحيان أوفر مادة وأكرم أنارة من مظهر مادى

وإذا كانت الجزيرة يبساتيها وقصورها ، والروضة بمخلف تاريخها ، والأهرام الشريف عاضيه ، تأخذ باللب وتلهم القائل ، فى جزيرة السودان ، وفى غاباته ، وفى منابع النيل السعيد الكريم ، وفى مجارى مياهه الأولى وروافده سمة للتفكير والقول ، وأى سمة ؟ بقيت فى إحدى سفرانى ضابطاً شهماً أقام بالسودان ، أخذ يحدثني عن رحلات قام بها فى ربوعه ، والضابط أقرب الناس إلى اختصار القول وأبعدهم عن زخرفه ؛ ومع ما بينى وبين ما يصف من شقة بعيدة ، فقد ظلت طوال الرفقة أخذاً القلب بالصور الرائعة بعرضها واحدة تلو أخرى حتى دونت منها كثيراً ، وحتى غميت لو كنت شاعراً فأصوغها نظماً أقوم به ييمض الواجب نحو بلادى وكم يكون من خالص التوفيق أن تدعو «الرسالة» إلى رحلة فريق من الأدباء فى العام القادم ، يصلون ما انقطع فى عالم الأدب

ثم انظر بعد ذلك الى السارح : ! فلن تجد رواية حدثت وقائعها بالسودان . بل إنك واجدها حافلة بالنظر الأوربية ، وبكثير من مناظر القاهرة وبعض القرى ، دون أن يحظى بصرك بمنظر واحد يمثل لك الخرطوم قائمة شاهقة على الأبدى الثلاث ، ولا منابع النيل تدنى إليك حقيقة الأواصر فى الوحدة المباركة ، ولا يمثل الشجاعة وكرم الخلق الذى تسير على بوره الركبان

لما حين تقول وأدبنا القومى عن أهل الوجه البحرى ، إنهم أولو ذوق سليم ، وعن الوجه القبلى إنه موطن الكرامة والكرم وجب أن تقول عن أهل السودان إنهم أهل الوفاء والشجاعة

كان الأمير (على بن دينار) متمماً بكثير من مظاهر الحكم ، وليس أغنى من الانجليز ولا أسخى منهم يدأ وقت الحرب ، وهم المسيطرون حواليه ، ولكن ذلك لم يكن مغرياً له ، فهو لم يفتأ يذكر أنهم نكية وادى النيل وهو منه ، فما تار إلا عليهم وفاة لحق النيل وواديه ، وظناً منه بسنوح الفرصة

وفى السودان علماء ، وذكاء أهله غير منكور ، ولا تعرف فى العاصمة عنهم إلا قليلاً ، حين تذكر الصحف قدوم بعضهم للاستشفاء أو لتبديل الهواء ، ومن واجبنا أن نبحت عن مؤلفاتهم وأن نتناولها بتعليق يحمل من الأمتين فى العالم الأدبى كتاباً واحداً ؛ ولا شك أن فى السودان شعراء ، فإزلة نحس بأقوال «سر الختم»

النزعة العملية

في الأدبين العربي والإنجليزي

للأستاذ غفرى أبو السعود

من الطريف والمفيد مما ألاحظ نوازن بين الأدب العربي والأدب الإنجليزي في شتى النواحي ، فإن هذين الأدبين لاختلاف ظروفهما يختلفان كثيراً ، ولما يتفقان ؛ والموازنة بين وجود اختلافهما المديدة - ووجود اتفاقهما إن كانت - تلقى ضوءاً على مختلف الظواهر في كليهما ، وتبرز شتى الأسباب والمسببات في تاريخهما ، وقد قيل : وبضدها تتميز الأشياء

وأعني بالنزعة العملية في الأدبين اتصالهما بالحياة اليومية والاجتماعية والسياسية والوطنية ومساهمة أقطابهما في تلك الشؤون ، والأدبان هنا أيضاً على طرفي تقيض : فالنزعة العملية تسود الأدب الإنجليزي من أقدم أيامه ، وهي تزداد باطراد عصر بعد عصر ، بينما هي تكاد تنعدم في الأدب العربي ؛ وما كان منها في صدر تاريخه قد تضاعف بكرة المصور

فالإنجليز بطبيعتهم العملية لم يترددوا في زج الأدب في غمار الحياة العملية والاستماتة به في شؤونها ، وأدباؤهم لم يحجبوا عن الأخذ بمحظهم من أشغال الدنيا ومخاطراتها ، أما العرب فعلى عظيم منزلة الأدب لديهم وشدة احتفائهم به ، كان أدبهم دائماً يواد الحياة العملية يواد ؛ وكان فناً نظرياً محضاً من توفر عليه انقطع عن غيره وعاش في عالم من الحفظ والرواية والتاريخ والتصنيف

و « على عبد اللطيف » في عفا كتبهم سنة ٢٤ ، روح الشاعرية ممزوجة بالوفاء والشهامة . ومن واجب صحفنا وجماعاتنا الأدبية أن تبحث عما أوتيت من وسائل الصحافة عن تلك الكنوز ليقيم الأدب وجماعاته وصحفه بهذا الواجب ، وليس السبب أن يكشف الزمان عن نقص ولا أن نتترف بالنقص ، ولكن العيب أن نغمد عن تلافيه

وننقل من اليوم : الوجه البحري ، والوجه القبلي ، والوجه السوداني . وليس عند الله جهد ضائع ، ولكن في الدنيا كسل مضيع

محمد محمود جبريل

فكان من أدباء الإنجليز من ضربوا بسهم في الفن والعلم والدين والحرب والكشف الجغرافي وكبار وظائف الدولة ، ولهم مع ذلك مؤلفاتهم الشعرية والنثرية المعبرة عن حوالجهم النفسية ونظراتهم في شؤون الحياة مستقلة تمام الاستقلال عن وظائفهم في الحياة العملية أو متأثرة بها ، ومن أولئك سينسر ويكون ورالي وبنيان وسدني سميث وذررايلي

ومهم من شاركوا في التقلبات السياسية فكانوا دائماً في صف الحرية وفي جانب الشعب ، ولم يستغل منهم إلا القليل بلواء الملكية ابتغاء السلامة والفنمية . ومن ضربوا بسهم في هذا الباب توماس مور مؤلف « اليوتوبيا » الذي قطعت الزبائث يده للدفاع عن حرية الشعب الحقيقية ؛ ويقال إنه بعد قطع يده رفعها هاتفاً بحياة الملكة لأنه كان يحب ملكته الباسلة ، ولكنه كان أكثر حباً للحرية والشعب . ومنهم ملتون الذي أيد الجمهورية في ظل كرومويل وعنى بصره في الدفاع عنها أمام أنصار الملكية ومنهم من اضطلموا بسبب الإصلاح الاجتماعي الأخلاق عقب الفساد الذي تركته الملكية المائدة من فرنسا بعد موت كرومويل ، وإديسون ، وستيل بطلا هذا الإصلاح الناجح الفريد في بابه . ومنهم من كرس أعماله لأصلاح حال العمال عقب التطور الصناعي وزعيمهم دكنز ، أو لأصلاح القانون الجنائي ومعاملة المسجونين تمشياً مع عصر النور والحرية ، ومن أولئك جازوردي . ومن الأدباء الفكتوريين من صرف همه إلى ترقية الجمهور والذوق العام بالمحاضرة عن الفن والأدب ، وكبير هؤلاء رسكن . وزادت هذه النزعة الاجتماعية الإصلاحية بتشمب نواحي الحياة حتى طمت في عصرنا الحاضر

بل كان من أولئك الفكتوريين جماعة خاضوا ميدان الصناعة والتجارة ، فأنشأوا شركة لصنع الآلات ، وكانوا يرسمون تطرير الآلات بأنفسهم ، إذ ساءتهم الطرازات الشائمة في عهدهم ؛ وأنشأ أحدهم وهو الشاعر المصور ولیم موريس مطبعة ومملاً للحبر لكي يطبع كتبه على النخط التي يختاره وبالحرير التي يفضلها بل كان من أدباء الإنجليز من عانى الاجتماع الانساني قاطبة ونقم على أنظمة الملكية والكنيسة ، وحاول إنشاء مجتمع جديد تسود فيه البساطة والمساواة والأخاء ، ومن هؤلاء شمراء عهد الثورة الفرنسية ؛ فالكتاب الفرنسيون الذين مهدوا لتلك الثورة

السلط به أن الحكم للأمير لا دخل للرعية فيه . ويدهى أن الأدب الذي ينمو في مثل هذه الظروف يظل مكفوقاً عن شؤون السياسة كما كانت بقية الرعية مكفوفة ، فهذا سبب انزوال الأدب العربي عن السياسة

فالأدباء ممثلو أمهم : ففي إنجلترا حيث كان الدستور والحياة النيابية هما العقيدة التي يدين بها الشعب شارك الأدباء كما شارك غيرهم من أفراد الشعب في الحياة السياسية وتوطيد أركان الحرية ، وفي الأقطار العربية حيث كانت الملكية المطلقة هي القاعدة أحجم الأدباء عن غمار السياسة كما كان بقية الشعب محجاً

ولقد خفف من وطأة الحكومة المطلقة على الأدب أن أكثر الخلفاء والأمراء كانوا أدباء أو عشاقاً للأدب ، وكانوا جميعاً يقربون رجال الأدب ويغدقون عليهم ؛ على أن هذه الحالة كانت لها مساوئها بجانب منافعها : إذ زخر أدبنا دون غيره من الآداب المالية بأشعار المديح والتهنئة والاستجداء ، وشتان بين أدب ينمو في ظلال الحرية والاستقلال ، وآخر بين قيود الرعاية والحماية والمنحة

كان الدستور محور السياسة في إنجلترا ، وكان الدين محوراً في الأقطار العربية ، فمليه انقسمت الأمة أحزاباً في أول الأمر ، ومنه انبثقت الفتن والثورات وقامت الأمور الحاكمة ونقسمت الأمبراطورية العربية دولاً ودويلات ، وبحافز منه جاهد المسلمون الروم ثم الفرنجة . كان الدين في كل هذه الأطوار مبعث النشاط السياسي وزناد الروح الوطنية والقومية ، ولا ترى الشعر العربي يحفل بالحماسة وروح القومية إلا في عصور الجهاد تلك

فالحياة الديمقراطية في إنجلترا كانت العامل الأول في آتسام الأدب الإنجليزي بالزرعة العملية ومساهمته في الحركات السياسية والاجتماعية ، واختراع الطباعة كان عاملاً آخر ساعد اتصال الأدباء بالحياة الاجتماعية واعتمادهم على جمهور القراء بدل الاعتماد على منح الأمراء ، وتبع من توفيق هذا الاتصال نشوء الصحف الدورية فكانت عاملاً جديداً في هذا الميدان أعقبه تميم التعليم فعاملاً امتلاء الأدب الإنجليزي بالزرعة العملية في الحياة الديمقراطية أولاً وانتشار الطبوعات ثانياً ، وقد كان كلا العاملين يموزان الأدب العربي ، ومن ثم يزخر الأدب الإنجليزي بالشؤون الاجتماعية والسياسية والوطنية بينما يقتصر الأدب العربي على وصف المشاعر الانسانية العامة وتصوير حالات النفس وأطوار الفرد في فحوى أهر السمر

أمثال روسو وفولتير اكتفوا بالعمل النظري وتركوا التنفيذ لنبرهم ، أما معاصروهم ومن جاء بعدهم من الأدباء الإنجليز فحاول كثيرون منهم تنفيذ العمل بأنفسهم . وقد انتقل شيلي إلى إيرلندة ثم إلى أوروبا لإنشاء مدينته الفاضلة ، وإن يكن قد منى بالفشل في الحالتين ؛ وعاضد وردزورث الثورة الفرنسية بقوة لمبادئها بمبادئها المعروفة حتى تقم على دولته بإعلانها الحرب على فرنسا النائرة ، وكاد ينتظم في أحزاب الثورة ، وبركب تيارها الخطر أولئك بعض رجال العمل من أعلام الأدب الإنجليزي المساهمين في الحياة الاجتماعية بفكرهم وبجهودهم ، وما بخالنا واجدين مماثلهم بين أعلام أدبنا : فقد كان من يتوفر على الأدب من أبناء العربية ينصرف كما تقدم عماعداً الأدب ، ويقصر أدبه على التمييز عن خواجه الفردية وذكر مآربه وحبه وشرايه ومعضبه ورضاه ونعيمه وشغائه ، ويكاد تتوفر على الأدب لا يجد قوت يومه إن لم يكن له مورد سهل ، ويضطر إلى التقرب إلى مولى يمدحه ويفوز بأعطيته ؛ وقد كان هذا من دواعي استظالة هذه الظاهرة في الأدب العربي : ظاهرة المدح التي سرعان ما تلاشت من الأدب الإنجليزي

والقليلون من أعلام الأدب العربي الذين شاركوا في الحياة العملية إنما صنعوا ذلك جبراً وراء مطالبهم الشخصية لا دفاعاً عن مصالح أقوامهم ؛ ولذا كان أقصى همهم أن يستوزروا للحكم ، ولم يدر بخلدكم متأنسة سياسة أولئك الحكماء ، وإغما ظفروا أبواقاً لهم وكتبة مجيدين ؛ ومن ثم كان ما يتصل بالسياسة من ذخائر الأدب العربي هو الرسائل الدبوانية التي دمجها أولئك المنشئون على لسان أمراءهم

والمجيدين من أعلام الأدب العربي الذين ساهموا في حياة العمل بتناهضة السلطة القائمة كقطري بن الفجاءة مثلاً قلائل ، وكان جالهم في صدر الاسلام ، ومن لم يفعل ذلك منهم طلباً لفاية شخصية فعلة لعقيدته الدينية حين كانت العقائد الدينية مضطربة في الصدور لقد كان الشعر والخطابة في الجاهلية أداتين من أدوات الحياة العملية والسياسية في ذلك المجتمع البدوي ، فلما جاء الاسلام كان في أصوله شورياً يخول الرعية مشاورة راعيها ، ولكن دولته قامت على بقايا الملكيات المستبدية القديمة ، فقامت الخلافة العربية على غرار تلك الملكيات التي تجمع الأمر كله بيدها ، ولم يمد الخليفة يشارو إذا هو شاور رعيّاً لحق الرعية عليه بل التماساً للرأي إن أعوزه ، ولا هو كان ملزماً باتباع مشورة غيره ؛ وصار من

١١ - محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

- وفي هذا يزدرى الفيلسوف البدن ، فتفر منه روحه وتود
أن تنزل بنفسها

- هذا صحيح

- حسناً ، ولكن بقي شيء آخر يا سمياس ، أعت عدل
مطلق أم ليس له وجود ؟

- لا ريب في أنه موجود

- وجمال مطلق وخير مطلق ؟

- بالطبع

- ولكن هل حدث لك أن رأيت واحداً منها بعينيك ؟

- بيقيناً لم أراه

- ألم تدركها قط بأية حاسة جسمية أخرى ؟ (ولست
أحدث عن هذه وحدها ، بل كذلك عن المظنة المطلقة وعن
الصحة وعن القوة وعن كونه كل شيء ، أي حقيقة طبيعته)
ألم يأتك عليها قط خلال أعضاء الجسد ؟ أليس الذي يريد
عقله على أن يتصور كنه الشيء الذي هو بصدد بحثه أضبط
تصور ، إنما يسلك بذلك أخصر السبل التي تؤدي إلى معرفة
طبيعتها الكثيرة ؟

- بيقيناً

- أما من يظهر بمعرفتها أسمى ما تكون نقاء ، فهو ذلك الذي
يسمى إليها واحدة واحدة ، فيتناولها بالعقل وحده ، دون أن
يأذن للبصر أو لغيره من الحواس الأخرى بالتطفل أو التدخل
في مشاركة العقل وهو متصرف إلى التفكير ، بل ينفذ بأشعة
العقل ذاتها ، بكل صفاتها ، إلى ضوء ما فيها من حقائق ، بعد
أن يكون قد تخلص من عينيته وأذنيه ، بل ومن كل جسده ،
الذي لا يرى فيه إلا عنصر تهريش ، يعوق الروح عن إدراك

المعرفة ما دام متصلاً بها - أليس أرحح الظن أن يظهر مثل هذا
الرجل بمعرفة الوجود ، إن كانت معرفته في مقدور البشر
على الإطلاق ؟

فأجاب سمياس - إن في ذلك يا سقراط حقاً رائعاً

- أوليس ثامناً على الفلاسفة الحق إذا هم اعتبروا ذلك كله
أن يفوضوا في أفكارهم ، فإذا ما التفتوا تحدث بعضهم إلى بعض
عن تفكيرهم يمثل هذه العبارة : إنما قد اعتدينا إلى سبيل من
التأمل قيمة أن تنتهي بنا وبالجدل إلى هذه النتيجة : وهي أنه
ما دمنا في أجسادنا وما دامت الروح بمنزلة هذه الكتلة من
النسج ، فلن تبلغ شهوتنا حد الرضى ، وإنها لشهوة الحقيقة ،
ذلك لأن الجسد مصدر لعناء متصل ، علته هذه الحاجة إلى
الطعام ، وهو كذلك عرضة للمرض الذي يفتأنا فيحول بيننا
وبين البحث عن الحقيقة ، وهو كما يقول الناس ، أبداً لا يدع لنا
السبيل إلى تحصيل فكرة واحدة ، لما يملأنا به من صنوف الحب
والشهوات والمخاوف والأوهام والأهواء ، وكل ضرب من
ضروب الجهالة ، وإلا فمن أين تأتى الحروب والمعارك والأحزاب
إن لم تكن آتية من الجسد وشهوات الجسد ؟ فالجروب يثيرها
حب المال ، والمال إنما يجمع من أجل الجسد وخدمته ، ومن جراء
هذا كله يضيق الوقت الذي كان ينبغي أن يتفق في الفلسفة ، هذا
ولوثياً للفلسفة الميل والفراغ لنفث الجسد في مجرى التأمل الشنب
والاضطراب والحواف ليحول بيننا وبين رؤية الحقيقة ، وقد دلت
التجارب جميعاً على أنه لو كان لنا أن نظفر عن شيء ما بمعرفة خالصة
لوجب أن نتخلص من الجسد ، ولزم على الزوج أن تشهد
بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً ؛ ولست أحسبنا إلا ظافرين
بما نبشقي ، وهو ما نزعهم أننا محبوه ، وأعني به الحكمة ، لا أننا
حياتنا بل بعد الموت كما تبين من الحديث . فإن كانت الروح
عاجزة عن تحصيل المعرفة وهي في رفقة الجسد ، فالنتيجة كما
يظهر أحد أمرين : إما أن تكون المعرفة ليست على الإطلاق
حقيقة بالتحصيل ، وإما أن تحصيلها يكون بعد الموت إن كانت
جديرة به ؟ فمعتد ، وعندئذ فقط ، تنزل الروح في نفسها
مستقلة عن الجسد ، وأحسب أننا في هذه الحياة الحاضرة نسللك
أخصر السبل إلى المعرفة ، لو كنا نبذل نحو الجسد أقل ما يمكن

بذله من عناية وشفق ، فلا نستطيع بصيغة الجسد ، بل نقل
أصفياء إلى الساعة التي يشاء فيها الله نفيبه أن يحلّ وثاقنا ،
فاذا ما تطهرنا من أدران الجسد ، وكنا أنقياء ، ونجاذبنا مع سائر
الأرواح النقية أطراف الحديث ، نعرفنا أنفسنا في الأشعة الصافية
التي تضيء في كل مكان ، فلا ريب أن ذلك هو ضوء الحقيقة ،
فلن يؤذّن لشيء دس أن يدنو مما هو طاهر ، إنه لن يسع محبي
الفلسفة الحقيقية ، يا سمياس ، إلا أن يفكروا في هذه الألفاظ
وأشباهاها ، وأن يقولوا بعض لبعض ، أفأنت موافق على ذلك ؟
- يقينا يا سقراط

- ولكن إن صح هذا يا صديق ، فما أعظم الأمل إذن في
أنني إذا ما بلغت غاية رحلتى ، فلن يقلقني هذا المم الشاغل الذي
صادفني وإياكم في حياتنا الأولى ، أما وقد تحدثت ساعة رحيل ،
فذلك ما أرحل به من رجاء ، ولست في ذلك فريداً ، بل هكذا
كل رجل يعتقد أن عقله قد تطهر
فأجاب سمياس - يقينا

- وماذا يكون التطهير غير انفصال الروح عن الجسد كما
سبق لي القول ، واعتبار الروح أن تجمع نفسها وتحمصها في
نفسها بعيداً عن مطارح الجسد جيباً ، وانعزالها في مكانها
الخاص ، في هذه الحياة كما في الحياة الأخرى ، ما استطاعت إلى
ذلك سبيلاً ، وفكركما من أغلال البدن ؟

فقال - هذا جيد صحيح

- وماذا يكون ذلك الذي يدعى الموت سوى هذا الانفصال
نفسه ، وتحلل الروح من الجسد ؟

فقال - لاشك في ذلك

والفلاسفة الحق وحدهم دون غيرهم يبحثون في انطلاق
الروح ويتمنون أن يكون . اليس انفصال الروح وفكركما من
الجسد هو موضوع بحثهم الخاص ؟

- هذا صحيح

- إنه لتناقض مضحك كما قلت في بادئ الأمر ، أن ترى
أناساً يحاولون بالدراسة أن تكون حياتهم قريبة من حالة الموت
ما استطاعوا ، فاذا ما أدركهم الموت أشفقوا منه .

- يقينا

- إذن يا سمياس . فإدام الفلاسفة الحق لا ينفكون يبحثون

في الموت ، فاللوث عندهم ، دون الناس جيباً ، أهون الخلوب .
أنظر إلى الأمر على هذا النحو : كم يبلغ منهم التناقض أن ينصبوا
الجسد عداوة متصلة ، وأن يتمنوا لو خلصت لهم الروح وحدها ،
فاذا ما أُجيبوا إلى ذلك ، كان منهم السخط والجزع ، في مكان
اغتيالهم بالرحيل إلى ذلك المكان ، حيث يؤملون إذا ما يلتوّه أن
يظفروا بما قد أُحبسوا في الحياة (ألا وهي الحكمة) ، وأن
يتخلصوا في الوقت نفسه من مراقبة عدوهم . وكأين من رجل
تمنى أن ينهب إلى العالم الأسفل ، آملاً أن يصادف هناك مشوقة
دنيوية ، أو زوجاً ، أو ولداً ، ليتحدث إليهم . أبعد ذلك يشفق
من اللوث من هو للحكمة محب صحيح ، ويعتقد كذلك أن
لن تتاح له بحق إلا في العالم الأسفل ؟ أليس يقابل الرحيل بالبشر ؟
إنه يا صديق لابد فاعل إن كان فيلسوفاً حقاً ، لأنه سيوقن يقيناً
قائماً أنه لا يستطيع أن يلتصق الحكمة في نقاشها إلا هناك فقط ،
دون أي مكان آخر . وإن صح هذا ، فأبلغ به من أحق - كما سبق
لي القول - إن كان يفترق من الموت

فأجاب سمياس - لا ريب في أنه فاعل

وأنت إذا رأيت رجلاً يمزج من اقتراب الموت ، كان جزعه
دليلاً قاطعاً على أنه ليس محباً للحكمة ، ولكنه محب للجسد ،
وربما كان في الوقت نفسه محباً للمال ، أو القوة ، أو كليهما
فأجاب - هذا جيد صحيح

- إن ثمت يا سمياس لفضية تدمي الشجاعة . أليست هذه
صفة خاصة بالفلسفة ؟

- يقينا

- وكذلك الاعتدال . أليس الهدوء ، وضبط النفس ، وازدراء
المواطف ، التي يسميها الدهاء أنفسهم بالاعتدال ، صفة مقصورة
على أولئك الذين يحتقرون الجسد ويعيشون في الفلسفة ؟
- ليس في ذلك خلاف

- وأنت إذا نظرت إلى الاعتدال والشجاعة عند سائر
الناس ، ألفت بينهما ، في حقيقة الأمر ، تناقضاً

- وكيف ذلك يا سقراط ؟

- فقال - إنك عليم بأن الناس بصفة عامة ينظرون إلى الموت
شراً وبيلاً

فقال - هذا صحيح

ذلك نقيبهم

(يتبع)

٩ - بين القاهرة وطوس

من طوس الى طهران

للدكتور عبد الوهاب عزام

رحنا الشهيد عائدين إلى طهران والساعة عشر إلا ربما من صباح يوم الاثنين سادس رجب (١٥ أكتوبر) فررنا بقرية اسمها قدمكاه (موضع القدم) وقد ذكرناها في سيرنا من نيسابور إلى مشهد وأرجأت الكلام فيها إلى الاياب إذ لم نخرج عليها في الذهاب . وقتت السيارة فنزلنا وملنا ذات اليسار فدخلنا ساحة بين جدارين فيها طاقث لا أبواب لها يناها بعض السلاطين ليأوى إليها المسافرون . ثم صعدنا إلى مستوى يتحدر منه مجرى ماء . فأنهينا إلى شجرات عادية بجانبها حجرة كبيرة . ولقينا قيم المكان فقال أنا كشيش قدمكاه . قلنا بإصاح إن الكشيش رجل الكنيسة وأنت رجل مسلم ، فقال أنا خادم القدم المبارك . ولجنا الباب فرأينا على يسارنا بَيْتَةً فيها حجر بركاني أسود فيه أثر قدم . قال دليلنا هذا قدم الامام علي الرضا ، ثم خرج بنا إلى حجرة أخرى في وسطها بركة صغيرة مستديرة بها ماء صاف يشف عن سمكات صغيرة يجلب بين سطحه والقاع . قال هذه عين الامام الرضا فاشربوا . فقلنا أيدينا داعين منشدتين :

« وعين الرضا من كل صيب كليله »

نزلنا سائرين إلى الجادة فشرينا الشاي وقوفًا واستأنفنا السير إلى نيسابور . ونزلنا في الخيام التي ضربت لنا من قبل عند قبر الخيام فاسترحنا وطعمنا .

خرجنا من نيسابور والساعة ثلاث بعد الظهر ، فوردنا سبزوار سبًا إلا ثلثًا ، فأوينا إلى النزل الذي وصفته من قبل ، وبعد المساء اجتمع بعضنا في حجرة الأستاذ العلامة كوبر على زاده محمد فؤاد مندوب الحكومة التركية ، وجاء مفتون من أهل القرية فنبأنا من ربايات الخيام وغيرها ضارين على النار (آلة تشبه العود) فطرنا لهذا البناء وهذا المجلس الذي جلس فيه علماء من أم شتي دون ترتيب ولا تكلف ، بعضهم على السرر

والآخرون على الأرض ، فأخذنا نوقع بأيدينا على نغمات النار . ولا أنسى الأستاذ كريستفون الداغوكي وقدمه رجليه وأمسك عود الدخان (البية) بغمه ونشط للصفن على أنغام الموسيقى .

رحنا سبزوار والساعة تسع ونصف ، فبلغنا داور زن بعد ساعة ونصف ونزلنا بها منزلنا الأول فاسترحنا وتغدينا . ثم فارقناها والساعة واحدة ونصف قوم شاهرود ، وكان بردها لا يزال عالقًا بي ، فقلت لأصحابي : سأترك في شاهرود القلة التي أخذتها منها . قال الأديب رشيد الياسي : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . وبعد ساعة وقفنا على قرية اسمها عباس آباد فجاء شبان يمرضون علينا من صنعة القرية مباح وأزدرآ وأشياء أخرى مصنوعة من حجر أزرق ضارب إلى السواد فاشترينا منها للذكرى . ثم سرنا فررنا بزيد فزقلنا بها ربيع ساعة فشرينا الشاي عند شجيرات وفناء هناك ، وأسرعنا السير ليتسنى لنا أن نخرج إلى بسطام فنزور أبا يزيد قبل الغروب ، فمطبت سيارتنا على مقربة من شاهرود ، وذهبت فضلة الوقت في إصلاحها فاضطررنا أن نميل عن بسطام إلى شاهرود فوردناها بعد المغرب ونزلنا في دارين داخل البلد استبدلتنا بالدار التي بظاهر البلد بعد الذي أصابنا من بردها في الطريق إلى الشهيد . وبكرت أنا والأستاذ عبد الحميد البادي والأديب أحمد الصراف آملين أن نزور بسطام ونرجع قبل أن يتأهب أصحابنا للسفر ، فمازلنا نقتظر سيارتنا حتى فقدنا الرجاء في زيارة أبي يزيد فررنا مع الركب آسفين مرسلين لاشيخ الصوفي نحيثنا على البعد

سرنا عن شاهرود والساعة سبع ونصف من صباح الأرباء منممين أن نبلغ طهران عشية اليوم . وبين شاهرود وطهران أربعمائة كيل وثلاثة . وردنا دامغان بعد ساعة ، فرأينا أن تلبث بها لترى بعض مشاهداتها ولم تكن وقفناها في ذهابنا إلى الشهيد ، كانت دامغان مدينة قومس ، وهي اليوم من ولاية طبرستان وتبعد ٦٤ كيلًا من استراباد ، جنوبي جبال البرز . على حدود العراق العجمي وخراسان . ويقال إنها في موضع مدينة حكتمبيليس إحدى المدن العظيمة في مملكة الأشكانيين القديمة ، وأن اسکندر المقدوني أدرك دارا الثالث قتيلاً على مقربة منها .

قال ياقوت راوياً عن مسعر بن مهلهل : « الدامغان مدينة كثيرة القواكه . وقاكنها سهاية . والرياح لا تنقطع بها ليلاً ونهاراً . وبها مقسم للماء كسروى عجيب يخرج ماؤه من منارة في الجبل ثم ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قصباً لمائة وعشرين رستاقاً لا يريد قسم على صاحبه ، ولا يمكن تأليفه على غير هذه القسمة . وهو مستطرف جداً ما رأيت في سائر البلدان مثله ولا شاهدت أحسن منه »

قال ياقوت : « قلت أما جئت إلى هذه المدينة في سنة ٦١٣ مجتازاً بها إلى خراسان ، ولم أر فيها شيئاً مما ذكره لأنى لم أقم بها » وأنا أقول قول ياقوت ، وأزيد أن مقسم هذه المياه تهدم إبان الغارة الأتمانية فيها يقال

وإلى الشمال الشرق من المدينة ، ينبوع عظيم يسمى جشمته على (ينبوع على) يزوره الناس ، ويزعمون أنه بغيض على حجرية أثر من حافر فرس الرسول صلوات الله عليه . وقد بنى حوله فتح على شيله سنة ١٢١٧

وقال ياقوت : « وبينها وبين كردكوه قلعة الملاحدة يوم واحد ، والواقف بالدامغان يراها في وسط الجبال »

سألنا عن الآثار الساسانية التي بدامغان فقبل لنا إنها بعيدة عن البلد ، وطريقها غير ممبدة ، وهي ليست ذات خطر . ثم « مدينا إلى بناء اسلامي قديم ، فدخلنا إلى فناء فيه قبور لاطئة بالأرض ، ينتهي إلى حجرة كبيرة في وسطها قبر كبير عليه سياج من الخشب ، وعليه كتابة قديمة كثيرة ، وإلى يسار الداخل قبر صغير لاسياج له ، فأما الضريح فقبل إنه لأحد أبناء الأئمة العلويين ، وأما الذي إلى يسار الداخل ، فقبل إنه لشاهرخ ، ورأينا حجرة أخرى مغلقة كتب عليها : أمر بمارة هذا البناء شاهرخ . وقد ظننت أنه شاهرخ بن تيمورلنك ، وعجبت كيف دفن هنا وقد مات في الري . ثم تذكرت شاهرخ حفيد الملك نادرشاه ، الذي أسره آقا محمد القاجارى في دامغان ، وما زال يعذبه ليسلم إليه حرائق جده نادرشاه حتى مات سنة ١٢١١ ، فقلت هذا قبر الأمير الضريح المنكود الطالع

بلغنا سمنان والساعة إحدى عشرة وربع منزلنا منزلنا الأول في المصنع الذي بظاهر البلد . وقلت للأستاذ المبادئ لا يفوتنا اليوم

أن نرى مسجد الجمعة في سمنان . فقلنا للأديب سيف آزاد صاحب مجلة « إيران باستان » فرافقنا وصحبنا في الطريق أحد ضباط الشرطة ، ودخلنا من باب كبير تزيه نقوش وتماثيل وكتابة فيها اسم ناصر الدين شاه إلى طريق على جانبيها أبنية للجند وخرجنا من باب آخر فسرنا في شارع مشجر وأزقة ضيقة ، ثم ترجلنا وتركنا السيارة وتخللنا الطرق حتى انتهينا إلى مسجد صغير جميل ، قرأنا فيها عليه من كتابة اسم الشاه طهماسب الصفوى

ثم ذهبنا إلى مسجد الجمعة وهو قديم عظيم ، وأقدم ما فيه منارة ، وهي فيها يظهر بقية مسجد كبير بناء السلاجقة ثم هدمه التتار فأقيم المسجد الحاضر على جانب من عرسته . ثم زاد فيه إيواناً كبيراً أحد وزراء السلطان شاهرخ بن تيمور سنة ٨٢٨ وخرجنا من مسجد الجمعة فمشينا في سوق طويلة مسقوفة تنهى معظم المدينة في الماضي ، وقد أنشدنى الأديب سيف آزاد في مسجد سمنان بيتاً ممتاً

« وأسفا على المسجد الذى في سمنان ، إنه يوسف في السجن » (١)

اجتمعنا على الغداء في سمنان ، ونحن نعلم أن الركب سينفترق في طهران فلا يجتمع ، فتكلم بعض الوافدين شاكرًا حكومة إيران ، والموظفين الذين رافقونا في مسيرة إلى طوس وإيلنا ، وأجلب السيد ابتهاج والأديب رشيد الياسمى معربين عن سرورهم وافتخارهم بمصاحبة الضيوف الخ ، وأرسلنا برفقة إلى وزير المعارف نبلفه والحكومة الإيرانية شكرنا . وكاتب الوزير قد تخلف في المشهد هو والوزراء الآخرون ، ليصبحوا جلالة الشاه في سفره إلى جرجان . . .

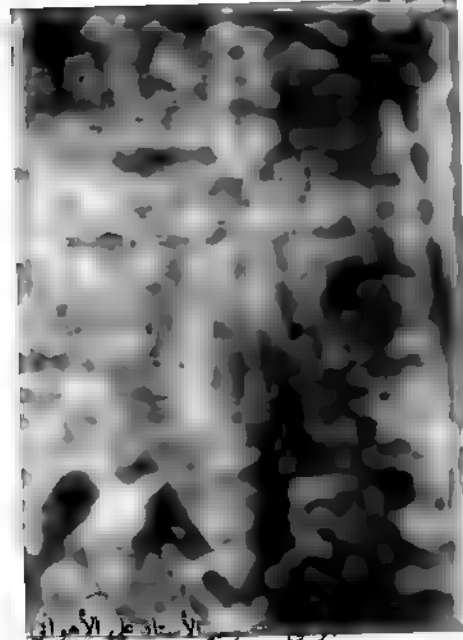
ركبنا السيارات والساعة اثنا عشر وربع بعد الظهر ، فجدنا السير حتى نزلنا في فيروز كوه فاسترحنا وشرينا الشاي في مطعم هناك . ثم ركبنا فاجنا في فيروز كوه (جبل فيروز) قمه وشعابه ووديانه حتى عيل الصبر ، وأظلم الليل ورجعنا الأعياء . ثم دخلنا طهران والساعة ثمانية من المساء فأوينا إلى الفندق بشق الأنفس

(يتبع) عبد الوهاب عزائم

(١) صيف برمسجد كه در سمنان بود يوسف حسي كه در زندان بود

الراعى

للأستاذ محمود الخفيف



راعى فى الحقل إنشادٌ بديع والندى يغسل أجفان الصباح
فتطلعت الى راعى القطيع قد شجاه حسنُ اقبال الربيع
وتبدت روعة الكون له
فتغنى فى هيام ومراح
باسم حكاى الصبح فى طلعتة حالم العينين لمآح الجبين
مُهمرة الأصباح فى وجنته وصفاء الكون فى مقلته
مرهف كالغصن نشوان الصبا
غرد كالطير فياض الحنين
قيلُ اللفتة فى إقباله تتراعى فوق عطفه عصاه
مريحٌ يختال فى سرباله مُعجلٌ يعثر فى أذياله
أو حلیم قُرب المرعى له
فتهادى وتأنى فى خطاه
ذاكراً ليلاه فى قنانه رائحة الإنشاد فى الأرض الفضاء
تحميلُ الريح صدى ألحانه قهزُ الحقل من أركانه
تذهل التوام عن أحلامهم
قبل أن تفرق فى سيل الضياء

يصفُ الحبُّ كما يعرفه قلبه الخالص من سوء الطباع
هاتفٌ، يسألُ « من يُنصفه من غزال صدِّ ، لا يعطفه
دمعه المسفوح أو يصرفه
عن دلال الخفيه وخداع »
أخذت نَفْسِي منه روعة واستخفنتى معانيه العذاب
ملكنتى إذ تغنى نشوة وتزرت فى فؤادى صَبوة
تركنتى عارقاً فى حُلُم
ضاحك الأطياف زفاف الجناب
تضحك الأرض مع الشمس له ويشيعُ السحرُ فى أركانها
يتبدى كلُّ شئ حوله طافح البشر طروباً مثله
وترى الورق شجاءاً لحنه
فتغنت فى ذرى أفنانها
يصبحُ الراعى طروباً شادياً مطمئناً ليس يدري ما الشجن
وتراه حين يمسى راضياً فى ظلام الكوخ يغفو ثاوياً
ناعماً البسال قريراً آمناً
هادئ الضجة ريان البدن
لم يكدر صَفْوَهُ حرصٌ ولا سهدت جفنيه أطباع الحياه
لن تراه نائمًا يوماً على أمل فات ولا يصبو إلى
ما طواه الغيب فى أحسنائه
حسبه الله فلا يرجو سواه
ملهمٌ رُكِّبَ فى فطرته حبُّ ما فى الكون من آى الجمال
تسمع التسبيح فى لهجته وترى الإعجاب فى نظره
ساذجُ الأحلام إلا أنه
صادق الوجدان مشوب الخيال
كم رأى الفجر وما فى أفقه من جمال واجتلى نور السحر
وتملأ الصبح فى إشرافه يفن النظر من عشاؤه
بصفاء تعلق الروح به
عبرى الحسن موموق الشؤز
ولكم آتس من حالى الضحى ومن الأصال مزدان الحلال

من الأدب الفرنسي المعاصر

أندريه جيد

André Gide

بقلم على كامل

تمة

برى أندريه جيد - ويتفق معه في ذلك مارسيل بروست والكاتب الأبطال بيراندللو - أن الشخصية ماضية لا وهم زائف ، وأن الانسان صنعة الظروف والاحتمالات ومهما يكن مقدار ما في هذه الآراء من الحق أو الباطل فقد كان لها الفضل الأول في تجديد القصة الأوربية لما تضمنته من تحطيم فكرة (الأخلاق الثابتة) و (النماذج الانسانية) التي كانت أساس القصة التحليلية في الأدب الفرنسي لتقيم على انقاضها أسس فكرة (اللاشعور) قبل العالم (فرويد) نفسه . كما أن هذه الآراء قد أبانت الأثر العظيم للفرايز الجنسية وعدم توازن المواطن في حياة الأشخاص متأثرة في ذلك بقصص الكاتب الرومي دستوفسكي

على أن ما يمتاز به أندريه جيد من كل من مارسيل بروست وبيراندللو أنه لا يكتفى بالنظر الى الأمور نظرة العالم النقسي ، بل إنه يخرج من دراسته (بقاعدة) يرى من الواجب السير عليها في الحياة : تلك القاعدة هي وجوب أن يسي الانسان الى فهم طبيعته وإدراك حقيقة نفسه بنفسه ، وما ذلك إلا بالخضوع لكل الدوافع المتنوعة مهما كانت ، والتذرع بالشجاعة لتحقيق كل ما يجيش فيه من الرغبات دون اختيار ، أي دون أن يقول الانسان لنفسه : هذا متفق ومع الآداب العامة ، وهذا مغاير لها ؛ هذا عيس الدين وهذا لا يمس . . . الخ يجب أن يكون كل منا (كطفل ضال ، توجد دون أن تعرف حاله المدنية ، دون أوراق . . . قذفه المجهول ، لا يعرف له ماضياً ولا قاعدة يسير عليها ولا سنداً بعينه ، لا وطن له ولا أجداد)

يجد الكون جميعاً مسرحاً يجتليه غادياً أو رافحاً
هائم يضرب في آفاقه
دائم الترحال موصول الجفد
ولكم شاهد إقبال الدجى حين ذابت فيه ألوان الشفق
ورأى الليل إذا الليل سجا وأنجلي البدر وضيقاً أبلجا
تقبس الأخطا من رواقه
قبل أن يدركه موج الفسق
كم رأى الراعي الحقول النضرة حفلت بالحسن في عيد الربيع
ورأى الصيف ينعى أثره يسد عاتية مقتدوره
تركت جنته خلوية
جف فيها الزهر والروض التريع
ولكم أتهجته صفو الخريف ورأى سحر مجاليه الوضاء
واغتدى يرتع في ظل وريف قدسرى في جوه نفع لطيف
يملا الصدر به مستروحاً
قبل أن تعصف أنواء الشتاء
يا فترعاً مثلت عيشته عيشة الانسان في فجر الوجود
يا خليلاً أنه وحدته إيه يا من برئت فطرته
من غرور العيش في زخرفه
يا طليقاً ما درى معنى القيود
يا قريير العين في خلوته لم يجرب مرة غدر الصديق
يا نقي القلب في عزلته لم ير العالم في رحته
هات من لحنك ما يطربني
يا غريباً أنت بالبشر خليك
يا رمى النفس في إيمانه نعتت نفسك في ظل رضاها
إيه يا من قرأ في وجدانه من هدى الله ومن رضوانه
ما ترنمت به في غبطة
فطن القلب إليها فرعاها
هات من لحنك يا راعي القطيع قد نقي لحنك عن قلبي الحزن
هيه إني ما تقنيت سميع وسامضى شاكر هذا الصنيع
ذاكراً لحنك مفتوناً به
إن في ذكراه رَوْحاً وسكن

محمد الخفيف

وهو الكتاب الذى ينفجر فيه بالدعوة إلى التمتع بالحياة الحسية يقول : (إنك حينما تذهب لا تستطيع أن تقابل إلا الله) وأيضاً (ناتانايل : لا تأمل أن تجد الله إلا فى كل مكان) وفى كتابه الأغذية الأرضية الجديدة Les Nouvelles Nourritures terrestres يقول : (يجب أن تفكر فى الله بأقصى ما يمكن من الاتقيا واليقظة لأننى عند ما أهبج التفكير فى الخالق إلى التفكير فى المخلوق تنقطع صلة نفسى بالحياة الخالدة وتفقد حيائتها لمملكة الله)

والآن ، أليس من التناقض مع فكرة (التحرر الأخلاقى) والدعوة إلى التمتع بالحياة أن يصرح جيد إحساس أشد للتدينين إيماناً يفكر فى الله كل يوم - كما يقول - ولا يستطيع له فراقاً ؟

لن جيد يردد موقفه بفلسفة هى أم نواحى التجديد فى تفكيره . إنه يفصل بين اللذة plaisir والحب amour ، أو يعبارة أخرى بين الجسد corps والنفس ame ، لذا زام يبيع من جهة تحقيق كل مقتضيات الجسد ، ومن جهة أخرى تحقيق كل مقتضيات النفس فى الالتجاء إلى قوة عليا . ولا شك أن رأى جيد هذا لا يتفق مع عقيدة دينية ، ولكنه فى سميحه ونحى طابمه الدينى الذى لم يستطع التخلص منه فأراد التوفيق بين إحساسه الدينى ومذهبه الفكرى فى التحرر الأخلاقى وفى العبارة الآتية يعترف لنا جيد أن هذه الناحية من تفكيره كانت خلاصاً وتبريراً لما أوقفته فيه مشكلته النفسية . يقول : (أما فيما يتعلق بى فقد قلت مراراً كيف أن الظروف وما تتجه إليه طبيعى كانت تدعونى إلى التفرقة بين الحب واللذة لدرجة أنه كانت تؤلى فكرة المزج بينهما) ثم يقول لقد فصلت أنا أيضاً بين اللذة والحب ، بل إن هذا الفصل بين الاثنين قد ظهر لى أنه كان لازماً . فاللذة أكثر نقاء plus pur والحب أعظم كمالاً plus parfait)

يرى جيد أن انطوائنا وخضوعنا لمطالب أجسادنا إنما هو نوع من السذاجة والبراءة innocence ، وأن إجابة الانسان لنداء طبيعته وغرائزه التى ولدت معه إنما هو خضوع لارادة الله . وما الفرق عنده بين من يجارى ميوله وشهواته كلها وبين من

إن هذه هى الوسيلة الوحيدة عند جيد لانكشاف حقيقة نفوسنا أمام أعيننا ، وعندئذ سير على هدى طبيعتنا وفى قسمته من يفوالنفود Les faux-monnayeurs (١٩٢٥) ترى الفتى (رنار) يخاطب القصصى (ادوار) ويسأله النصيح كيف يضع قاعدة لحياته ، فيجيبه ادوار قائلاً : (إن هذه القاعدة نجدها فى نفسك على أن يكون قصدك السير الى التقدم . ليس عندى ما أقوله لك . إنك لا تستطيع أن تستمد هذه النصيحة إلا من نفسك . فلا تحاول أن تتعلم كيف تعيش إلا بأن تعيش)

ولكى نعيش - فى نظر جيد - عيشة لا يقيدنا قيد يجب ألا نتردد عند الحاجة فى الثورة على نظام الأسرة والجري وراء إحساساتنا تقودنا الى حبث الحقيقة المظلمة . فالاستقرار هو الله أعداء جيد ، لأن رائده هو أن نكون متاهين دائماً لتغيير جديد فى حالتنا

وفى كتابه الأغذية الأرضية Les Nourritures terrestres نسلم جيد يخاطب (ناتانايل) ملقياً عليه تعاليمه قائلاً :

(ناتانايل : إياك أن تستقر فى مكان ، فمجرد أن تغيرت ظروف هذا المكان وأصبحت موافقة لطبيعتك ، أو جملة أنت نفسك موافقاً لظروف المكان ، عندئذ لا تبقى لك قاعدة كبرى من وجودك ، فيجب أن تهجره ، ليس هناك أخطر عليك من أسرتك ، من غرفتك ، من ماضيك)

وفى قصة L'immoraliste (ميناك) Ménélaque يقول : (إننى لا أريد أن أتذكر . فاعتقائى أن هذا منع لوصول المستقبل . واعتداء على الماضى الذى لم يعد لى فيه حق ، إننى بئسائى الكامل للأمس أجدد كل ساعة من حياتى . إن كونى كنت سميداً لا يكفينى ، لأننى لا أومن بالأشياء الميتة . وما كنت عليه وزال عنى الآن هو عندى كأنه لم يكن)

على أن فكرة جيد عن التحرر المطلق كما رأينا لم تقض على عاطفته الدينية . بل لقد أحدث عنده هذا الإيمان القوى بالتحرر وبالإستسلام لكل إحساس يغمرك ، نتيجة عكسية ، إذ جعل جيد يترك الننان لأحاسسه الدينى يطفى عليه بين وقت وآخر دون أن يحاول كبته ، فراه بتكلم عن الله والحياة الخالدة بأسلوب متصوف زاهد ، فى كتابه الأغذية الأرضية Les Nourritures terrestres

يكبح بمضها إلا كالفرق بين (من يأكل كل شيء ومن لا يأكل
غير المفروقات)

ويقول جيد أيضاً : (ليس في الإنسان شيء غير طاهر)
Rien n'est impur en soi ، لذا كان ما تفيض به طبيعة الإنسان
من ميول وشهوات لا يجب في نظره أن يحصل غير معنى الطهر
والنقاء والاخلاص لأنفسنا فيجب أن نطيعها دون اختيار (لأن
كل اختيار إنما هو تحديد لحرمتنا)

على أن جيد يشترط لكل عاطفة تحركنا أن تكون غلصة
لكي نطيعها ونجيب نداءها . ففي Si le grain ne meurt نسمة
يقول : (إن لذاتي لا تحجب وراءها فكرة خفية . لذا لا ينبغي
أن يتبع هذه الذات أي شعور بالندم) فهو يقصد بذلك أن
يقول إن فكرة الحرية والانطلاق إذا استترت وراءها نية أو
غرض معين خرجت عن دائرة البراءة والأخلاص

وفي ضوء ما ذكرنا نرى أن فكرة أندريه جيد فكرة
مزدوجة مضمونها :

أولاً : الناحية الجسدية الحيوانية في الإنسان وهي الناحية
البريئة الساذجة

ثانياً : الناحية للمعنوية ، وهي إما الناحية الخاصة بالاحساس
الديني ، وإما الناحية الشيطانية في الإنسان

ففكرة جيد هي الفصل بين هاتين الناحيتين اللتين هما في
الواقع حقيقتان من حقائق الطبيعة الانسانية — الناحية الجسدية
والناحية المعنوية — ثم السمو بهما الى أقصى ما يمكن من الطهر
والنقاء . وما السبيل الى ذلك إلا بنبذ كل ما لا أساس له من
الحق والصدق ، وفي مقدمة ذلك بالطبع كل ما يرغمنا عليه المجتمع .
ولقد استخدم جيد في البداية عبقريته كناقذ فذ في تبرير حقه
في الانطلاق والتمتع بالحياة وفي (الحب الذي لا يجرؤ أن
يقول اسمه) على أنه فيما بعد صرف همه الى العناية الشاملة بكل
تقاليد المجتمع وحقائقه الفارغة وأوهامه لكي يعتمد بعد ذلك الى
تنقيحها أو هدمها من أساسها ، فقرأ مثلاً يهاجم فكرة الحياة الأدبية
ويطعن في نظم التربية ويفضح مظاهر الرياء بين الطبقات الوسطى

الى غير ذلك مما يراه من المفاسد الاجتماعية التي تقف حائلاً بين
الإنسان وبين حريته التامة .

ولقد كانت (فردية) اندريه جيد سبباً في أن يبقى حتى
الثامنة والخمسين من عمره بعيداً كل البعد عن الاهتمام بالصلحة
العامة أو الإيمان بمقيدة سياسية أو اجتماعية على اعتبار أن
الأسفاء لأفكار الغير يحد أو يغير من أفكار الإنسان الخاصة التي
يجب أن تكون بعيدة عن كل تأثير خارجي . وأندريه جيد في
عزله السياسية والاجتماعية كان يخالف تماماً كثيراً من أعظم
الكتاب الفرنسيين المعاصرين مثل أناتول فرانس وشارل موراس
وموريس باريس وشارل بيغوي ورومان رولان وغيرهم .

على أن جيد بعد رحلته الى الكونغو وأواسط أفريقيا خرج
مرة واحدة من دائرته الخاصة الى دائرة المجتمع الانساني بأجمعه .
يفكر في ظروف الحياة فيه بعين تقيض بالرحمة الواسعة والحنان
المظيم حتى أن المرء ليحس بأنه قد نسى نفسه ولم يعد يفكر الا
في الآخرين !

وفي كتابيه Voyage au Congo و Retour du Tchad نرى
جيد يدافع عن الأمم المستعمرة لا بمهاجمة فكرة الاستعمار نفسها
ولكن بالطالبة بحق إثارة هذه الأمم في التقدم المطرد في جميع شئون
حياتهم وبتشفيه كل استعمار ينتهك حرمة هذه الحقوق المقدسة

ولكن هل بقي جيد عند هذا الحد من الاعتدال في تفكيره
السياسي وهو الذي من دأبه السير الى أقصى حدود التطرف ؟ لا .
وإذ لم يكده بنقصى وقت يسير حتى رأينا جيد يرغمي في أحضان
الشيوعية التي اعترف بأنه عند اعتناقها كان يجمل صميم نظرياتها ،
ولا شك أن اعتناق جيد للشيوعية مخالفة تامة لأسس تفكيره
السابق ، لأن جيد (الفردية) قد أصبح يؤمن بنظام يقيد مصلحة الفرد
في سبيل مصلحة المجموع . وجيد التائر على أي نظام من نظم التربية
على اعتبار أن التربية تقييد وتحديد قد أصبح يؤمن بالمثل العليا
الشيوعية . وجيد الذي كان ألد العدو للمقيدة الثابتة dogme قد
أصبح إيماناً بالشيوعية تسليم منه بالنظريات الماركسية كنظرية
(التفسير الاقتصادي للتاريخ) مثلاً وغيرها . على أن في

عليها ضوءاً وهاجا نستمد من صميم إرادتنا وشجاعتنا ، علمنا كيف نصرح بكل ما يجيش في خفايا قلوبنا من النزعات الصارخة - علمنا كيف ومتى نعرف تماماً حقيقة نفوسنا ليس بالاستسلام لفرائرها الحيوانية كما يتهمه أعداؤه ظلماً ، بل بأن تسارطينتنا مهما كانت بسذاجة عظيمة ، سواء ما كان منها خاصاً بالناحية الحيوية أو بالناحية الروحية ، وأن تكون دائماً على أتم أهبة لمواجهة الحياة المتنيرة ومجاراتها على الدوام في قالب جديد

المصادر

- 1) René Schwob : Le vrai drame d' André Gide (1932)
- 2) André Billy : La littérature française contemporaine (1929)
- 3) René Lalou : Histoire de la littérature française contemporaine (1931)
- 4) René Groos et Gonzague Truc : Tableaux du XX ème siècle (1900 — 1933) Les Lettres (1934)
- 5) Benjamin Crémieux : André Gide (étude) Nov. 1934

الشيوعية أيضاً تتحقق معظم أفكار جيد وآماله ، ففيها شرود نهائي من ماضيه الديني الذي أنقله زماناً طويلاً ، وفيها التخلص من عبودية نظام الأسرة الذي طالما حارب وفاضل في سبيل القضاء عليه ، وفيها أمل جديد في الوصول الى ما يسميه جيد (مملكة الله) أي قتل الجواب الخبيثة في الانسان بالتخلص من كل أنانية والتحرر من كل تفكير ذاتي ، وهو يرى فيها أيضاً الشفقة الزائدة والتفكير الجدي في محو الشقاء الانساني

ولعل من العجيب أن اندريه جيد منذ أعلن إيمانه بالشيوعية لم يعمل أي عمل أدبي جديد ، مقتصرًا على نشر المقالات المختلفة التي تدور كلها تقريباً حول تبرير انقلابه الجديد ، ولا نقول الأخير ، فهل منا من يضمن أن جيد يستقر على حال ؟ !

لعل مظاهر التقلب والقلق الدائم وعدم الاستقرار التي

صاحبت جيد عشرات السنين هي أعظم ما يرفعه (كإنسان) لأنها نتيجة تفلل عاطفة الحرية في دمه الى حد قل أن يكون له نظير ، فظل طول حياته (حديقة من التردد) - كما يسميه أكبر أتباعه الكاتب الفرنسي جاك ريفير - لا يهدأ له بال ، يدرس الحياة بنواحيها الفكرية والحسية ، يسافر الى أقصى البلاد ، كل ذلك لكي يصل الى الحقيقة المنشودة التي يسعى وراءها . ورغم عبء ماضيه الديني الثقيل فقد استطاع أن يحطم أغلاله لينطلق باحثاً منتقياً

لأننا حين نحكم على اندريه جيد يجب أن ننظر الى مجموع شخصيته ، متعاضدين عن تلك السبل الشاردة التي اختطها في حياته الخاصة ودعوتها العامة ، ونعتبر في نظرنا نقديه - مبالغة قصوى في تفسير معنى الحرية - لقد علمنا جيد كيف تنتصر على الخجل المقيت والرهبة البغيضة التي لا معنى لها ، علمنا كيف نكشف دخائل نفوسنا ولا تتركها في الظلام الدامس لا نعرف كنهها كأن ليس لنا بها صلة ، علمنا كيف تسلط

الحج فريضة على كل مسلم ومسلمة

شركة مصر للملاحة البحرية

مهتد السبيل اليه

بباخريتها

«زمزم» و«الكوثر»

قوموا لحج بيت الله

يغفر لكم ما تقدم وما تأخر

الاستعلام من إدارة الشركة بمهارة بنك مصر القاهرة

بيان للناس

بقلم صاحب السعادة محمد طلعت باشا حرب

لمناسبة حلول موسم الحج الشريف لبيت الله الحرام -
يسرني أن أذيع على مواطنينا الأعزاء بعض ما قامت به « شركة
مصر للملاحة البحرية » لراحة الراغبين في تأدية هذه الفريضة
المقدسة :

أولاً - قامت الشركة بتجهيز باخرة ثانية « الكوثر » لمشاطرة
شقيقها « زمزم » شرف نقل الحجاج ، وهي باخرة غاية في
الفخامة ولا تقل عن زمزم أناقة ونظاماً ونظافة
وسنوجه الدعوة لزيارتها قبل مبارحتها الاسكندرية كما فعلنا
في العام الماضي بالنسبة لزمزم وسيدعى أيضاً لقيف من رجال
الصحافة والأصدقاء للسفر عليها من الاسكندرية ليور سميد في
طريقها إلى السويس . وبفضل اشتراك الباخرتين في النقل
أصبحت محلات الدرجة الممتازة « اللوكس » والدرجتين الأولى
والثانية متوفرة تماماً ، وأصبحت الشركة مستعدة بأذن الله تعالى
لنقل أى عدد من ركاب هذه الدرجات في الذهاب والاياب
ثانياً - لزيادة راحة الحجاج في نزولهم من الباخرتين وطلوعهم
اليها بمجدة قد أعدت الشركة مراكب كبيرة « قليلة الغاطس »
وجعلتها شبه صنادل تقف على جانبي الباخرة عند رسوها وجهازتهما
بالسلام والكبارى اللازمة لنزول الحجاج منها وصعودهم إليها
بكل راحة وبدون أدنى خطر مهما كانت الرياح شديدة ومهما كان
البحر هائجاً

وهذه الصنادل التي يسع الواحد منها نحو الخمسة حجاج مجهزة
« بالذك والكراسى والخيام » (تندات) للوقاية من الشمس
والطر ويجرها رفاص لداخل الميناء

وفضلاً عن ذلك فالسنايك الأصلية موجودة أيضاً للنقل منها
للميناء إذا تمدر لسبب ما وصول الصنادل إليها . وهذه تضيحية
جديدة من الشركة تكلفها مبالغ لا يستهان بها ، ولكنها تبذلها عن
طيب خاطر حسبة لله تعالى دون أن يجرم أصحاب السنايك والشتلون
عليها من أهل الحجاز أجورهم المقررة بالتمريفة الرسمية التي تدفعها

الشركة اليهم كاملة من مالها
والشركة تنتظر منهم أن يقابلوا ذلك بالشكر الجزيل وزيادة
التناية في خدمة الحجاج

ثالثاً - لتشويق من يرغب من أهل اليسار من الطبقتين
العليا والمتوسطة في أداء الحج فكرت الشركة - فيما فكرت فيه -
في إيجاد محلات لائقة لهم بمجدة ومكة المكرمة - فاستأجرت
مزلين بهما زودتهما بكل وسائل الراحة ، وبالأدوات الصحية
المصرية ، والأثاث الوثير الفاخر ، والأطعمة النظيفة ، وجهازتهما
بالتلاجلت والمراوح الكهربائية وبالنور الكهربائي ، فأصبح لا عذر
من هذه الوجهة - حتى لمن تمودوا الترف والرفاهية - في عدم
القيام بفريضة الحج . وكل ذلك بأجور غاية في الاعتدال لا تتجاوز
جنيهاً مصرياً من كل يوم بما في ذلك الأكل والنوم عن الشخص
الواحد للسري الواحد

نعم إن عدد الأسرة محدود في الوقت الحالي ، ولكن مع زيادة
الاقبال ستفكر الشركة في زيادة الأماكن
ويمكن حجز الأسرة من مكتب الشركة أو بالباخرة أو بذات
المنازل بمجدة ومكة

وزيادة في راحة الحجاج قبلت الشركة اقتراح « قومسيون
نقل الحجاج » الخاص بالقيام بتقديم الغداء لهم بالباخرة في جميع
الدرجات - فقامت بذلك في العام الماضي وستقوم في هذا العام
بتقديم الغداء النظيف الصحي لهم جميعاً منتبظة بعملها الذي
تقصده به وجه الله قبل أن تنظر إلى الربح

فهي تقدم الى ركاب الدرجة الثالثة الخبز الكافي والأطعمة
الصحية من الخضار واللحم والأرز والحلوى والخبز والزيوت
للفطور والغداء والعشاء يكميات وفيرة - وهي التي تشرف على
شراء القمح وطحنه ونجته وخبزه لتستوثق من أنها تقدم خبزاً
جيداً نظيفاً غير مخلوط - كما تشرف على شراء الزبدة وتسييحها ،
وعلى شراء المعجول والخرفان الجيدة السليمة ، وعلى ذبحها وطبخها
لتقدم غداء شهياً صحياً كما قدمنا

وكل هذا بشمن زهيد قدره ٤٠ قرشاً عن كل حاج الدرجة
الثالثة طول مدة السفر بحراً ذهاباً وإياباً
رابساً - الاتفاق تام بين الشركة والحكومة الحجازية على

بذل قصارى الجهد من جانبها لتمهيد الطرق وتوفير الوسائل
الصحية والاجتماعية لراحة الحجاج

وقد تبرعت الشركة والبنك وعض أهل الخير بمبالغ لا تأم
المستشفيات في مكة المكرمة ، وتجهيزها بأحدث الآلات الجراحية
وأشعة رنجنن ليتمكنها القيام بأجل الخدمات لحجاج بيت الله الحرام
على اختلاف أوطانهم ولأهل البلاد أجمعهم

وهذا فوق أنه عمل إنساني جليل يرد في إطمئنان الحجاج ،
وتشجيع الاقبال على استكمال هذا الركن من الدين

وبما أن الحرب العالمية أثرت أكبر تأثير في رخاء المدينة
الثورة ويسر أهلها حتى هاجر معظمهم وأصبح الباقون - من
حضر وبادية - في ضنك عظيم يفتت الأكاد ، كانت العناية بشئونهم
واجبة ، وفي مقدمة ما يعنى به دراسة حالة تلك الربوع ، وأهل
باديتها لعل الله يوفق لشروع يشغل بعض الأيدي العاطلة ويشجدها
لعمل فيه خير ووزق لهم ، ويرد للمدينة بعض روائها القديم

خامساً - اتفقت الشركة مع الحكومة الحجازية على دراسة
مشروع تصيد محل السى بين الصفا والروة ليكون أكثر
انطباقاً لما يقتضيه من الاجلال والاحترام . وعلى منع انهيار
الأزربة عليه ، وتدقيق السيول التي تنشأ في أكثر الأوقات بل
وتتمدها إلى المسجد الحرام

وقد أرسلنا بعض الخبراء لدرس المشروع ووضع التصميمات
والتقارير اللازمة لمرضاها على الحكومة الحجازية والتفاهم على تنفيذها
سادساً - البحث جارياً إذا كان من التيسر إيجاد خط
جوى بين جدة والمدينة لتيسير الزيارة لكثيرين ممن يستصوبونها
الآن ، وإذا نجح المسمى تتمكن من تنظيم خط جوى بين جدة
والمدينة مرتين أو ثلاث مرات في اليوم

فيتمكن الحاج من تأدية الزيارة والعودة في يوم واحد أو
يومين لمن أراد البيت . وفي هذا كسب الزيارة لمن لا يجد في وقته
متسماً لها ، أو لمن يفتنه المتاعب من القيام بها ، وريح لأهل المدينة
بسبب زيادة عدد الزائرين

سابعاً - أوجدت الشركة على « كوتر » كما أوجدت في العام
الماضى على « زهرهم » منجداً للصلاة ومكتبة بها كثير من كتب الدين
والآداب وغيرها ، كما أن جهابذة يحاضرون الحجاج في أمور دينهم

تأمناً - أوجدت الشركة بالسويس لراحة الحجاج أو عائلاتهم
الذين يحضرون قبل ميماذ السفر أو يرغبون في الاستراحة قبل
مغادرتهم السويس في العودة « فندقاً » مستوفياً شروط النظافة
والراحة ، نسأل الله عز وجل أن يجعله نواة شركة للفنادق المصرية .
تقوم بأيدي المصريين وأموالهم ، وقد سميناها من باب التيعن
« لوكاندة مصر »

تاسعاً - سيجد حجاج بيت الله الحرام على الباهرتين مكثين
لبنك مصر لتبديل العملة المصرية بالذهب أو بالريالات السعودية
ولتبديل هذه بالعملة المصرية - حين العودة - ولقد رأى من حج
مهم في العام الماضي أى تسهيل عملنا . ولعلمهم يذكرون أننا
صرغنا لهم العملات الذهب والسعودية بأسعار أرفع مما كانت
تصرف به في جدة أو مكة

وإذا صح ما أذاعته الجرائد من أن الحكومة المصرية السنية
تريد أن تكلفنا بصرف جنيهات ذهبية لحسابها إلى الحجاج فنحن
مستعدون للقيام بهذه العملية بالسعر الذى تحدده الوزارة ، فيمتنع
ما أذاعه في العام الماضي بعض المترضين الذين لم يقفوا على حقائق
الأمر - إذ ظنوا أننا أخذنا الذهب من الحكومة بالسعر
الذى تشتره هى به من السوق المصرى وبعناه بالأسعار العالمية ؛
على أن الحكومة قد باعت لنا الذهب في العام الماضي بسعره في
« لوندرة » يوم البيع حتى دون استبعاد نفقات نقل الذهب براً
وبحراً والتأمين والحفاظة عليه والقيام بمهمة المصارفة

ومع كل ذلك فقد بعنا الذهب للحجاج بأقل من الأسعار
التي وجدوها في جدة ومكة بضعة فروش في الجنيه . وقد بعنا
الحجاج الريالات السعودية بشمن يرجح السعر الذى وجدوه
بجدة بنحو نصف ريال سعودى في الجنيه ، ومن صرفنا لهم بمصر
بسعر أقل قبل معرفة حقيقة السوق ردونا لهم الفرق إما بالباخرة
أو بالقيد لحسابهم الجارى لدينا بمصر ، أو بصرفه لهم نقداً بعد
عودتهم ، ولم نسمع في تاريخ البنوك بمثل هذا

وقد عملنا الترتيب اللازم بحيث يرد لنا يوم قيام الباخرة من
السويس نفقات بالسعر الحالى لكل العملات بمجدة لتصرف
للحجاج ما يلزمهم بأسعار أوفى لمصلحتهم
وفي حال تكليفنا من الحكومة بصرف الذهب لحسابها

ووقفنا لخدمتهم وتوفير أسباب الراحة والأمان لهم أينما كانوا
وحيثما حلوا

وكل ما يطلبه من حجاج بيت الله الحرام هو أن يمازوا على
حفظ النظام والمواعيد وألا يكونوا سبباً في إثارة الخواطر بين
تلك الربوع المقدسة ، ولعلهم أننا لا نزيد إلا راحتهم ، فإن وقع
تقصير فمن غير قصد ، ولنا من حسن نيتنا خير شفيع .
(وما هجرنا إلا إلى الله ورسوله)

ولما كانت العصمة لله ، وما نحن إلا بشر نخطئ ونصيب ،
فأنا على أتم استعداد لسامع أية ملاحظة برئة ، أو أية شكوى زهية ،
أو أية نصيحة خالصة ، أو إرشاد نافع ، إلى ما يكون من ورائه
تحقيق أمانينا جميعاً التي تنحصر في وجوب العناية بحجاج بيت
الله الحرام والسهر على راحتهم ابتغاء مرضاة الله تعالى الذي
لا يضيع أجر من أحسن عملاً

محمد طلعت حرب

فبراير ١٩٣٥

بكون ذلك بالسمر المتفق عليه ويملن للحجاج

ولتسهيل قبض تحاويل تلك مصر على الحجاز وراحة
الحجاج قد جعلنا الصرف بمجدة من محل وكالاتنا بها « الحاج عبد
الله رضا وشركاه » وقد عينا مندوباً للبنك بمكة بمنزل شركة
مصر الملاحة البحرية لخدمة الحجاج وتأدية طلباتهم المالية
وصرف التحاويل بها

واتفقنا في المدينة المنورة مع « حضرات الشيخ عبد العزيز
الخرجي وشركاه » على أن يكونوا وكلاء في ذلك وهم من
أشهر تجارها

وأماننا مشروع مخصوص العملة سنعرضه على حكومتنا
السنية على أن تقرر العواصم المقبلة ، ففيه تحقيق مصلحة الحجاج
وعدم غبنهم على قدر الامكان . وإذا نجح هذا المشروع — ولا
ندري لماذا لا ينجح — أتيج للحجاج أن يحج ويعود دون أن
يكون مضطراً لحمل نقود معه

• فبنك مصر يتولى حينئذ شتونه المالية من البيت للبيت
— على حد تمييز مصلحة السكة الحديد — فيدفع عنه بالحجاز
كل الرسوم والضرائب وأجور المطوفين والأتومبيلات والجمال
مما هو مقرر في التمريرة بحساب الذهب — ويقدم له هناك
ما يحتاجه من عملة سعودية لتفقاته المحلية المقررة بهذه العملة

وقد وافقت حكومة الحجاز على هذا المشروع الذي يضع
حداً لفوضى تبادل العملة والتلاعب فيه ، ولا يبقى إلا أن يعرض
على حكومتنا السنية حتى إذا ما بدت لها حزايا ما فيه من عدم غبن
الحجاج أقرته ، وعملت على تنفيذه عملاً بكل ما يضمن مصلحتهم
عائراً — أفردنا محلاً في كل من الباهرين لبيع الاحرامات
(من بفتة وبشا كبر) لمن يرغب فيها من الحجاج ، وهي من
صناعة شركة مصر للفزل والنسج وأثمانها معتدلة

وحتى لا يطيل الحجاج في عودتهم المكث في جدة — رأيت
الشركة أن يكون تقامهم من جدة للطور على « زمزم » ومن الطور
إلى السويس على « كوز » وهذا تسهيل كبير لهم ووفر في الوقت
مما تقدم ترون الجهد الجهد الذي تبذله شركة مصر للملاحة
البحرية ، ويبدله بنك مصر لتوفير أسباب الراحة والطمانينة
لحجاج بيت الله الحرام كتب الله لهم السلامة في الذهاب والاياب

اليوم يصدر :

الجزء الثاني

من

شرح الأئمة

لؤلؤه

إختر الإيتي

يبحث في نشأة العلوم في العصر العباسي الأول

وتاريخ كل علم تفصيلاً

يطلب من لجنة التأليف والترجمة بشارع الكرداسي غزة ٩

وتمت عشرون قرشاً ساغماً عدا أجرة البريد

القصص

كانديلورا

CANDILORA

بقلم لويجي بيراندللو

صاحب جائزة نوبل لعام ١٩٣٤

« لم يعرف القمصى الايطالى النايغ لويجي بيراندللو ، الذى
فار بجائزة نوبل الأدبية عام ١٩٣٤ ، قصة كلاسيكية تجلت
فيها مقدرة الفنية الرائعة ، وتبينت فيها نظره الفلسفية :
(هذا أو ذاك . . .) مثل ما تجلت في هذه القصة . »

أزل المصور الفنان « نين بابا » حافة قبضته بيديه التليظتين
ساعة أن قال لزوجته « كانديلورا » : « لا فائدة ترحى . صدقيني
يا عزيزتى أن لا فائدة ترحى . »

وصرخت كانديلورا محتاجة : « وأى فائدة ترحى إذا ؟ أفى
معاشرتك ليُقضى على من الغضب والمائدة ؟ »

ورد عليها نين بابا في هدوء : « نعم يا حبيبتي . ولكن دون
أن يُقضى عليك . بقليل من العبر . انظرى ، سأذكر لك شيئاً .
« شيكو . . . »

« - إننى أمتنع من تسميته بهذا الاسم . »

« - ألا تسمينه كذلك ؟ »

« - نعم ، ولأنى أنا أحميه هكذا »

« - هه . . . حسن . لقد ظننت أنى أرضيك بهذا . أيجب

أن أحميه البارون ؟ البارون . أريد أن أقول إن البارون يحبك
يا حبيبتي كانديلورا ، ويذل المال فى سبيلك . . . »

« - فى سبيلى أنا يذل المال ؟ يا سافل ! ألم يذل من
أجلك مالا أكثر ؟ »

« - لو أنك تركت لى الكلام . . . هو يذل المال من

أجلى ومن أجلك . ولكن انظرى ، ما معنى أنه يذل من أجلى

مالاً أكثر ؟ كوفى منطقية مع نفسك . إن معنى ذلك أنه لا يقدر
إلا لأنك فى ظلى الذى أخلمه عليه . هذا مالا يمكن إنكاره . »
وتعزرت كانديلورا من الغضب وقالت : « ظل ؟ من شعاع
لمثل هذا . . . » ورفعت قدمها مشيرة إلى حذاءها ، ثم استطردت
قائلة : « لم يلحقنى منك إلا العار ، العار ولا شئ . إلا العار ! »
وتبسم نين بابا وأجاب بهدوء أكثر من ذى قبل : « كلا ،
أستميحك العذرة : إن العار يلحقنى أنا ، فيما إذا ما تكلمنا عن
العار . اننى الزوج . وهذا أم شئ . صدقيني يا لوريتا . ولو لم
أكن زوجك ، ولم تعيشى فى ضيافتى تحت هذا السقف ، لفقدت
كل جاذبية ، أنفهمين ؟ هنا يمكن للجميع أن يدلوك دون أن
يخشوا عقاباً . والجميع يشتمون متاعاً عظيماً بقدر ما تلحقين فى
من عار وشار . وبدونى يا لوريتا تصبحين شيئاً تافهاً شديد
الخطورة ، وما كان شيكو . . . البارون لينذل . . . ماذا أنت
فاعلة ؟ أتبيكين ؟ لا ، لا ، انظرى . . . إننى لا أقول إلا هذا . »
واقترب نين من كانديلورا . وأراد أن يمسك بذقنها ، ولكن
لوريتا قبضت على ذراعه ، وفتحت فاهها كحيوان مفترس وعضته ،
وطالت عضتها دون أن تنهون . وكانت أسنانها تغور باستمرار
فى الذراع ، بينما كان هياجهما يزداد . وانحنى نين حتى يمكنها
من ذراعه ، وأطبقت على أسنانه وابتمت هادئاً للألم المروع الذى
سببته له . وازدادت عيائه ضياء واتساعاً . ولما أن انفكت أسنان
كانديلورا عن ذراعه - وكان حملاً قد أزمج عنه - أحس بأن
موضع ما أكلت جرح من النار ، ولم يتبس بكلمة . وأخرج
فى هدوء ذراعه من رداءه ، ولكن القميص لم يطاوعه ، إذ كان
قد غررز فى اللحم الحى . وانطبعت على كم القميص بقعة من الدم ،
دائرة دموية ، هى دائرة أسنان كانديلورا القوية . وكان أثر الواحدة
بجانب الأخرى ظاهراً ، وأخيراً تمكن نين من إخراج كم قميصه ،
والابتسام لم تفارق وجهه الشاحب . وكانت رؤية الذراع وحدها
تشبب . فوضع أثر كل سن فى الدائرة جرح . وكان اللحم
المحيط بالدائرة قد اسود لونه . قال نين مظهرًا لها ذراعه :

لا حراك لها من حوله : الأشجار ، وجنوح أشجار البلوط ،
والأحواض المركزة على جوانبها صخور صناعية ، وسطح الماء
الأخضر ، والمقاعد . لماذا تنتظر كل هذه الأشياء ؟

إنه يمكنه أن يتحرك وأن يسير . ولكن يا للفرابة ! كأن
كل هذه الأشياء التي من حوله ولا حراك لها تنتظر إليه . ثم هي
لا تنتظر إليه مجرد النظر بل ترسل إليه سخرتها في سحر يشع
من جودها العجيب ، وصورته له أن قدرته على المسير ليس من
ورائها طائل ، إلا أن تظهره بظهور الصباوة الداعية للسخرية

وهذه الحديقة تمثل ثراء البارون شيكو . وهنا سكن نين بابا
منذ سنة شهر ، إلا أنه لم يشمر بالاشتزاز من نفسه ومن كانديلورا
إلا في صبيحة أمس ؛ وحين آتت الساعة من البحر تجسم وزره
ووزر عراها أمام عينيه . غير أنه اضطر إلى الضحك ساعة
أن قالت له تهرب الآن من هذا البار . وقد أفصحته له أنها
تبني ذلك

حقاً إن صور نين بابا ستبقى رواجاً بعد الآن . وأن قيمة فنه
الجديد الخاص به قد بلغت أخيراً أعلى مرتبة . وليس ذلك لأن
الناس حقاً فهموه ، ولكن أخرجت الأغنياء من زوار معرضه
وعقليتهم نقاد لحكم النقد الفني ليقفون لإزاء لوحاته معجبين

النقد ؟ وأيضا كلمة النقد لا وجود لها في غير سراويل النقطة .
والناقد الذي قصده كانديلورا وجلة يوماً ما ، لكي ترجمه في وجهه
بأنه غير عادل حين يؤدي بفنان مثل نين بابا إلى الهلكة جوعاً -
ذلك الناقد النافذ الكلمة دون غيره ، كتب مقالاً عظيماً بلفت
به أنظار المترددين إلى فن نين بابا الجديد والطابع الشخصي فيه .
ولكنه طلب أجراً مقابل اعترافه بالفنان . على ألا يدفع هذا
الأجر تقدماً ، بل شكراً حيويًا تقدمه كانديلورا له . ولم يكن من
كانديلورا إلا أن قدمت دون تريث هذا الشكر جزيلًا . غير قاصرة
على ذلك الناقد ، بل عمت هذا الشكر للذين أعجبوا بفن زوجها ،
ذلك الفن الجديد . فقد ملكتها نشوة فرح لا تتصور زوجها .
وشكرت الجميع ومخاصة البارون شيكو ، الذي جرى في ذلك إلى
حد أن ترك للزوجين منزله ، حتى يكون له شرف إيواء فنان
ممنوب . . .

مكتبة كانديلورا ! لقد خافت الفقر وقالت إن الفقر ليس هو
الحاجة ولا الدل . وإنه ليس لها حق فيما يكسبه زوجها . ودفعتها
عدم أهلها هذه للانتقام . وعلى أي صورة ؟ منزل . سيارة . قارب

« ألا زين ؟ » وصرخت كانديلورا ، وهي ملقاة على المقعد
تتمسك : « هكذا أريد أن أعرض قلبك ! » وأجاب نين : « هذا
ما أعرفه . وهذه الرغبة تقدمك بأنه أولى لك ألا تتركيني .
اذهبي بالقيمة ، وأنتي بصيغة اليود والشاش المقم والرباط . جميعها
في الخانة العليا من مكتبي بالوريتا . هي الثانية من اليمين . إنني أعرف
أنك حيوان صغير مغترس يحب المض ، ولهذا أحرص دائماً على
الضادات اللازمة »

وأمسكت كانديلورا بذراعه وطرقت في عينيه وشفتيها
منظرة قصيرة إلى ذراعه ، وأعجب نين بها ساعة هذه النظرة

لكانديلورا سحر في اللون والحركة ، وهي تشجعه
للمل . فمينا الفنان تكتشفان في هذه المرأة أشياء أبداً جديدة
ومتعددة . ففي هذه الظهيرة تبدو وهي في حديقة المنزل ، وتحت
شمس شهر أغسطس المحرقة ، التي تنشر ظلالاً حادة في كل مكان ،
ولها أثر خفيف . وكانت في نفس الصباح ، حينما آتت من حمام
البحر حيث قضت بضعة أسابيع عترة الجلد سمراء اللون من
فعل الشمس وملح البحر ، لون شعرها منطقي ، وضوء العينين
أشبه ما تكون بمنزلة تشع النور . وكانت بذراعيها العاريتين
الفتولتين وبكفليها الناعى تظهر في كل حركة بسيطة أن رداءها
الأزرق الحريري الذي يناقض لون جسدها ويلتصق به يكاد
يتقطع . وكان هذا الرداء مدعاة للسخرية . لقد كانت كانديلورا
تقضي نصف يومها عارية تمرح على شاطئ البحر المنزل ، وترقد
بجسمها الصامد على الرمال المتقدمة من حرارة الشمس الملتية ،
بينما كانت تشمر بنسيم البحر البارد يهب على قدميها . فكيف
لهذا الرداء الأزرق أن يخفي عراها ؟ لقد ارتدت بحاملة للمرف ،
ولكنه في الواقع أظهرها في حالة غير محترمة أكثر مما لو كانت عارية
ومع كل ما كانت عليه من غضب لحظت في عينيه إعجابه
بها . وسرت إلى شفتيها بفعل الغريزة ابتسامة الرضا . واستاءت
لساعتها من فعلتها هذه . وانتقلت ابتسامتها ضحكة استهزاء .
وصارت ضحكة الاستهزاء فجأة نحيباً وشهيقاً وهربت إلى المنزل
وأخرج نين بابا لسانه لها دون وعي وهو يرتب مسيرها .

ثم نظر إلى ذراعه المجروحة التي تشع ألماً محرقاً من فعل حرارة
الشمس . ثم شمر فجأة أن عينيه اغرورقتا بالدموع . ومن يعرف
السبب ؟ وتحت تلك الشمس المحرقة في وسط الحديقة حيث الظلال
الحادة مترامية شعر نين بابا بأنه كاد ينزعج من وجود أشياء عدة

أن تصبح رماداً مع الزمن . وكل شيء يحمل طيه آلام تكوينه ، آلام مصيره الذي لاقدرة له على تغييره . وهذا هو الجديد في فنه ، إذ يجعل أشخاصه يشمرون بذلك الألم . وهو يعرف جيداً أن كل أحذب عليه أن يعرف كيف يحمل حديته معه . وينطبق ذلك على الوقائع كما ينطبق على الأشخاص . فإذا ما كانت الواقعة واقعة فستبقى كذلك دائماً أبداً ، ولن تتغير . فكاند يلورا مثلاً لو أنها بذلت أقصى جهدها لتصير خلواً من العار كما كانت أصلاً عندما كانت فقيرة لما استطاعت . ولعل كاند يلورا لم تكت قط خلواً من العار حتى في أيام طفولتها . وإلا لما أمكنها فعل ما فعلت ، ثم هي تفرح لعملها هذا

وتحت حرارة الشمس انقبض الدم في موضع العضة من ذراعه ، وتجمد سطحه وازداد نبضه وانثفخت يده وتوترت شرايينه

واستفاق نين بابا من تأملاته وخطا نحو المنزل ونادى صراخين عند مدخل السلم وفي المشى :

« كاند يلورا ! كاند يلورا ! »

وردن صدى سوتة في الغرف الخالية ولم يجبه أحد . دخل في الغرفة المجاورة لـحل عمله Atelier ومكتبه ، ولكنه تراجع من هول ما رأى . كانت كاند يلورا منبطحة على أرض الغرفة البيضاء الغضة بالنور . ورداؤها في غير انتظام . وكأشها دارت حول نفسها فأنكشفت فخذه . أسرع إليها ورفع رأسها ، يا الله ماذا فعلت ؟ النم والذقن والرقبة والصدر يضرب لونها بين السواد والصفرة : لقد شربت صبغة اليود

ثم ناداها قائلاً : « إنه لاشيء ! لاشيء ! ما هذه القملة الحفاه يا حبيبتي كاند يلورا . يا طفلي . . . إنه حقاً لاشيء . إنه يؤذي المدة طبعاً . قفي »

وحاول أن يوقفها على قدميها ؛ ولكنه فشل ، إذ أن المسكينة قد تصلب جسمها من شدة الألم . ومع ذلك لم يقل لها مسكينة ، بل قال : « طفلي . . . طفلي . . . » ذلك لأنه ظن أن تجرعها صبغة اليود أمر تافه مزهر . « طفلي ! » رددها ثانية ، وقال لها (يا صغيري الحفاه) . وحاول أن يستر فخذهما بالرداء الأزرق فقد أصاب منه نظراً ، وأدار عينيه إلى الناحية الأخرى حتى لا يرى فيها الأسود

[البقية على صفحة ٢٠٠]

بخاري ، حل . جواهر ثمينة ، تزهات خلوية . أدوات زينة . مادب . . . ولم تشمر هي بفسب منه ، إذ بقي دون أن يتغير في شيء . فلا هو حزين ولا هو فرح ، ولا زال مهملًا في هندامه كما كان . وليست له بهجة في غير ألوانه . لا يعرف مطلباً سوى التفرغ لفنه ، حتى يصل إلى القرار ، القرار المكين ، كي لا يرى شيئاً من صور الحياة الوضعية التي تحيط به

من المحتمل ، كلا ، بل بكل تأكيد أن تلك الحياة الوضعية - حل لوريتا والترف والدعوات والمآدب - تدل على شهرته . شهرته وعاره - ولم لا ؟ وماذا يهمه من أمر ذلك ؟

إنه يقدم روحه وكل ما فيه من حياة للتمتع بورقة يدخل عليها الحياة برسمه ، بينما يصير هو لهما ودماً وشرايين لتلك الورقة . أو للتمتع بحجر صلب لا حصر فيه ليجمله فوق لوحته حجراً حياً حساساً ، هذا كل ما يمينه

عاره ؟ حياته ؟ حياة الآخرين ؟ أسباب الأجانب الذي لا قائدة من الانصات اليه ؟ إنه لا يحيا إلا لفنه ، وهو العمل الذي يتمنح عنه النور والألم ويتمثل في روحه

وقال هذا الصباح للوريتا وكأنه في عالم آخر إنها تنجبه - دون أن يغير الأمر اهتماماً خاصاً - حقاً إنها أعجبه ، لأنها ارتضت أن تكون شريكة مطيعة في الحياة ، غير عابئة بالفقر ، شريكة قنوعاً راضية ، له أن يطمئن إلى صدرها ، وطبيبي أن تهاجمه لوريتا كنمرة . ولكن ماذا تفعل بسد ذلك ؟ ألا تنود بصبغة اليود والشاش المقم والفضاد ؟ لقد سعدت المسكينة بأكية الآن يجب أنصح بحب لوريتا . ولربما كان ذلك رد فعل

لصدم ميالانه . أليس ذلك جنوناً ؟ ولو أنه كان يحبها حقاً لحق عليه قتلها . عدم المبالاة هذا ضروري ، هو المقدمة التي لا مفر منها ، ولينجمل المار الذي تمثله إلى جانبه . أيهرب من هذا المار ؟ كيف يمكن ذلك . وكل منهما قد رأى هذا المار ليس بعيداً عنه ولا محيطاً به بل رآه في نفسه أيضاً . والسبيل الوحيد هو ألا يهتم كلاهما بذلك . فهو يتابع تصويره وهي توالى تتمهما بشيكو مؤقتاً ثم بغيره أو به مع غيره في وقت واحد ، فرحة غير حاملة همك . إن الحياة . . . لاشيء . وهي تسير على هذه الوثيرة أو تلك ، دون أن تترك أثراً . ويجب على الإنسان أن يضحك من الأشياء التي ولدت خبيثته والتي ليس لها من الكيان ما يفرى ، أو لها كيان ، ولكنه قبيح يجعلها تنال إلى

سُرَّ وَائِعِ السَّرِّ وَالْغَرِّ

كما يُهددُ الطفل على النفاثة الرتيبة (١)

آه، حَبْذا المقام هنا بعيداً عن الناس وحيداً مع الطبيعة !
يحيط بي سور أخضر من رياض الأرض ،
ويقوم حوالى أفق محدود فيه مجال للبصر ،
فلا أسمع غير همس الموج ولا أبصر غير وجه السماء .

لقد رأيت كثيراً وأحست كثيراً وأجيت كثيراً
ثم جئت هنا حياً لأبحث عن هدوء (ليتيه) (٢)
فيا أيها الوادى الجميل ، كن لى ذلك
النهر الذى يُذهب بالنسيان هموم القلب !
ففى النسيان وحده منذ اليوم سعادى ونسبى

إن قلبى فى رخاء ونفسى فى سكون ،
وإن ضروءه العالم لتغنى قبل أن تصل إلى
كالنغم البعيد يخفت على طول المدى
ثم لا يقع منه فى الآذان إلا سدى

من هذا المقام ومن خلال ذاك المقام
أرى الحياة حولى تنوص فى غيابة الماضى ،
فلم يبق مائلاً غير الحب بقوى ويتجدد ،
كالصورة الكبيرة تبقى على البقعة من حلم تبدد

استروحي يا نفس فى هذا الملجأ الأخير ،
كالمسافر اللاتعب يجلس على باب المدينة ،
وقلبه ذاخر بالأمل والطمانينة ،

(١) الرتيبة التى نرى على غطاء واحد : monotone

(٢) Lethé هو فى زرع الأساطير الوثنية نهر من أنهار الأفيون
Les enfers وهو مقام الأرواح بعد الموت ، تنصت منه هذه الأرواح
تنسى ما فيها ، وليتيه سناه النسيان

الوادى

LE VALLON

لشاعر الطبيعة والجمال لامرئتين

نعم قلبى من كل شيء حتى من الأمل ،
فلن يُثقل بعد اليوم بأمانته على القدر ،
فأعزنى يا وادى صباى وأحلاى ،
ملجأ يوم انتظر فيه موافاة حرمى

ذلك هو الشعب يضرب فى حشايا الوادى ،
والغابات الكثيفة تقوم على سفوح الرُّبى ،
وأدواحها الحانية تلقى الظلال على جيبى
فتملاً شعاب نفسى بالسكون والبطولة

ومناك جدولان اختفيا تحت أعراش الخفزة ،
يرسمان فى أنسيابهما منقطقات الوادى ،
ثم يتزج منهما الموج بالموج والخرير بالخرير ،
ويغنيان وهما من النبع على مدى قصير

كذلك جرى ينبع أيام جريان هذين الجدولين ،
ثم ذهب من غير هدبر ولا رجة ولا رجعة !
ولكن ماءها كان صافياً شديداً الصفاء ،
أما نفسى فلم يترأ فى كدرها صفو ولا هناء !

إن طرادة الجدولين ورودة الظلال ،
تغلاننى طيلة النهار على صفاهما الخصبية ،
أهدم نفسي على خرير مائهما اللال ،

صائب التبريزي^(١)

أبيات شتى

- ١ - نحن كالقسي : نصيبنا من صيدنا انحناء ظهورنا ، وكل ما نحوز لغيرنا
- ٢ - ليدى جرأة غير ما عهد الناس ؛ لا تجبى غصنا غفل عنه الحرّاس
- ٣ - ليس الظالم بنجوة من سهام آفات الظلوم ، إن أنين القوس قبل أنين الهدف المكوم
- ٤ - يارب من دعا علينا أن نكون كقافلة الأمواج : ليس في سفرنا للاستراحة منزل
- ٥ - ليس اطمئنانا سكون القلب في مصابه ، ولكن ضاقت الدنيا عن اضطرابه . إن خفقان النجم يصبح في لوعة : ليس هذا البناء الموج مكاناً للدعة
- ٦ - (٢) - ختم المجلس ليلاً بحديث طرقت المسألة ، فهض كل من نهض وفي رجله سلسلة . إن الأعصار الذي هب في هذه الصحراء ، روحه المجنونة الحائرة يلقها الثبار في الفضاء
- ٧ - إن الجذبة التي سلّبت كفّ المجنون العنان ، بدأت تقطعت من محمل ليلى الزمام
- ٨ - ليست أوجه الاثنين والسبعين ملة إلا إلى هذه السدة ؛ ترى عالماً حيران ، ولم يفضل أحد طريقه
- ٩ - إن قطرة من الدموع تنكفئ لخراب العالم ، كما تبدد قطرات الماء نوم التامم
- ١٠ - ولّ وجهك شطر الحانة ثم انظر طعانة القلب — انظر عالماً فارغاً من فكرو الغد ، إنك تطبق كالحجاب عينك فتري نفسك ، ولو فتحت عينك للضياء ، لأبصرت فناءك في هذه الدأماء
- ١١ - إن عيني لتطير كالشرار إلى نوم الغناء ، كل بعدت عن وجهك الفارّ الوضاء
- ١٢ - أضاء في كل ظفر هلال العيد ، ليلة تناولت كأساً من ذكرك السعيد
عبد الرهّاب عزّام

(١) محمد علي صائب التبريزي من كبار شعراء الفرس ، توفي في اصفهان سنة ١٠٨٧ هـ .
(٢) القطع الآتية مصرية بالمعاني الصوفية

فيستثنى قبل أن يدخل نسيم المساء العيسق

فلتنبض عن أقدماءنا البار كما تنقبض هذا الرجل المجهود ،
فأنا لن نملك هذه الطريق مرة أخرى ؛
ولننشئ مثله في آخر المدى المحدود ،
نفحات الهدوء المبشر بالسلام الدائم

إن أيامك الكثيرة القصيرة كأيام الخريف ،
تنقبض انقباض الظلال عن حوادير المضارب ؛
فالصداقة تندريك ، والرحمة تتخلّى عنك ،
وتقطع وحدك الدرب إلى عالم القبور

ولكن الطبيعة هناك تُهيب بك وتمحنو عليك ؛
فألق نفسك في أحضانها التي لا تتجاف عنك ،
فإن كل شيء يتنكر لك وينزوي عنك إلا الطبيعة ،
لجوها هو الذي ينضج على آلامك ،
وشمسها هي التي تشرق على أيامك

بالأشعة والظلال لا تزال تحيطنا الطبيعة .
فطهر قلبك من الغرور الباطل والتنازع الزائل ،
واعبد هنا الصدى الذي كان يصيد فيثاغورس ،
وأرهب أذنك مثله لموسيقى السماء .

ثم اتبع الشمس في السماء والظل في الأرض ،
وطرّ في السهول مع ريح الشمال ،
وجسّ مع شماع هذا الكوكب الهادي
خلال الغابات في ظلال هذا الوادي .

إن الله خلق العقول لتدركه ،
فاكتشف في الطبيعة خالق الطبيعة ؛
فإن صوتاً لا يبيّ يحدث المرء عن ربه ،
ومن ذا الذي لم يُصنخ إلى هذا الصوت في قلبه ؟

الربات



ضحايانا الأطفال

تأليف أجنس دى لجا

ترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر وثقته ١٩٦٠ قروش

وهذا الكتاب ، الذى أحدثك عنه هو الحلقة الأولى من تلك السلسلة المباركة اضطلع بترجمته الأستاذ الجليل محمد عبد الواحد خلاف مدير إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية ، فأخرجه على الرغم من شواغله الجمة على خير ما يرجى من مجال سبك وحسن نظام ولهذا الكتاب فى موضوعه ، وفيما انتهج من طريقة أهمية فريدة ، ذلك أنه ليس من تلك الكتب التى تتناول موضوع التربية من ناحية الجافة ، ناحية النظريات العلمية المجردة التى تهتم بالقضايا دون الوقائع ، أو ببساطة أخرى تهتم بمبادئ العلم دون من تنطبق عليهم تلك المبادئ من الأطفال ، فإن تلك الكتب النظرية فى منحها عصوراً الفائدة ثقيلة فى الثالب تتطلب من القارئ صبراً طويلاً ، وجهوداً كثيراً ، لى يستخلص منها ما يرجو من فائدة ، وإن كان ما يصيبه منها فى النهاية متعلقاً بقواعد العلم أكثر منه بقاءته

وإنك لتستبين روح الكتاب من عنوانه ، فؤلفته تنكر النظم المدرسية التقليدية ، وتعتقد أننا نضحي بأولادنا ونعاملهم كما لو كانوا أعداءنا بالقائم فى تلك الأبنية التى هى أشبه بشكنات الجند ، حيث يكتنفهم جو خانق يفيض من قوانين ونظم ، يؤخذون بها أخذاً فى كل صغيرة أو كبيرة من حركاتهم ، وحيث يجرعون من مواد الدراسة مالا غنية فيه من معلومات يسمونها وقوف من القول والعمل يساقون إليها فى طرق عسكرية ، توبق أرواحهم ، وتطمس على قلوبهم وتذل نشاطهم ، وتحول بينهم وبين الاستقلال الشخصى والتبوغ الذاتى

وإن تقف المؤلف فى كتابها موقف المهادم ، بل إنها تسلك طريقة إيجابية ، فتمرض على القارئ كثيراً من التجارب العملية فى بعض المدارس الحديثة بأمريكا ومانع نجاحها ، وما أنتجته من أثر فى تغيير وجهة التربية تغييراً يمد السبيل لبناء هذا العلم من جديد على أسس عملية ، تحمل مشاكله وتضمن للطفل ما يرجى له من سعادة ، وما يرجى منه للمجتمع وتلك الروح العملية هى الميزة الغدة لهذا الكتاب التى سبق أن أشرت إليها ، فهو خلاصة تجارب مربية متخصصة لجديتها

تعتبر تربية النفس وإعدادهم للحياة من أهم المسائل وأجدرها بمناية أول الأمر وسواهم من المربين والكتاب ، وتشر مصر فى نهضتها الحالية بشديد الحاجة إلى تقرير سياسة عامة تأخذ بها فى تربية أبنائها ، ذلك أنها قضت زمناً طويلاً تحت تأثير عوامل مختلفة استند خطرهما فشملى جميع نواحي الحياة ، وفى مقدمتها أمور التربية والتعليم ، فقد أحكت الأغلال وأقيمت المراقيل فى تلك الناحية الجوهرية من نواحي التقدم ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبحت سياسة التعليم عندنا مهلهلة ، وصارت ثقافتنا مذبذبة ، وظلت مصر فى لبس من الأمر تسير إلى غير قصد ، ولا تستند فى سيرها إلى مبدأ

لذلك يحق لنا أن نقبض بكل بحث فى التربية يضطلع به من تأخذ الغيرة من أبناء مصر ، ولقد اعترفت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، أن تضم إلى مجهوداتها المتنوعة فى نشر الثقافة إصدار سلسلة من كتب التربية بين معرب ومؤلف ، تحت إشراف الأستاذ اسماعيل القباني تحاول فيها كما جاء فى مقدمة الأستاذ فى هذا الجزء الأول من السلسلة ، « أن تبسط على التتابع النظريات والاتجاهات السائدة فى عالم التربية فى الوقت الحاضر ، والأسس الاجتماعية والسيكولوجية التى تقوم عليها ، وأساليب تطبيقها فى مختلف الظروف والبيئات ، ونتائج التجارب التى أجريت عليها » وغاية القائمين بهذا العمل الجليل أن يمهّدوا السبيل لأن « تكون لنا فلسفة للتربية توفق بين أحدث الآراء فى العالم من جهة ، وأغراض النهضة القومية التى لاح فجرها فى مصر من الجهة الأخرى »

الاسلام والحضارة العربية

تأليف الأستاذ محمد كرد علي

نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر وثمته ١٠ قرشا

أصدرت لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الأول من كتاب الاسلام والحضارة العربية ، وقد طبع في دار الكتب ويقع في نحو ثلثمائة وستين صفحة كبيرة

أوحى فكرة هذا الكتاب إلى مؤلفه الجليل الأستاذ كرد علي ، أريحية عربية نبيلة ، تبيينها في مثل قوله « وسبيل هذا الموجز الآن تصحيح هفوات من أساءوا وما برحوا يسيئون للعرب ودينهم ورسولهم ومدنيتهم وذكر ما أثره الحضارة العربية في أمم الغرب والشرق ، وما نبت به الاسلام ، لما غير أهله ما بأنفسهم ، من خصماء غير رحماء ، نالوا من روحه وجنمه فالتأتأت أحواله وتكررت معالاه والألماح إلى ما قام به المسلمون بعد طول المهجمة ، يلويون على استمارة مجد أضعافه ، وعلقوا اليوم يقطعون إليه أشواطاً ، حتى لم يبق أمامهم غير مراحل لبلوغ الغاية »

وما أحسب تسمية هذا الكتاب بالموجز إلا تواضعاً من صاحبه ، فهو من الكتب الحافلة بشتى المسائل والبحوث . تلكه الأول يدور حول الرد على مخالفى الاسلام وتفنيد مزاعمهم وبيان منازعهم في الخلاف ، فتقرأ فيه كثيراً من التهم التي ألصقها المتصبون بالاسلام والرد عليها في قوة حجة وسلامة منطق ، يصحبهما الهدوء والرزاقية ، كما يدعهم هاسة الاطلاع ونفاذاً بالبصيرة ، ومن أمثلة المسائل التي يتوق كل مسلم بل كل منصف إلى الوقوف على حقيقتها ، والتي شرحها الأستاذ أحسن شرح وفندتها خير تفنيد ، ما نسب إلى الاسلام من مذابح دنيئة وما اتهم به المسلمون من إحراق مكتبة الاسكندرية ، ومن بغضهم حرية الفكر وتصميمهم ضد العلم ، وما يردده الشيويون من أباطيل وتهم كسالة صديق الرسول في دعوته ، والقضاء والقدر وتعدد الزوجات والطلاق والحجاب والاسترقاق والرياء والتصوير والنقش . . . الخ . ولم يقتصر الأستاذ المؤلف على ما ساق من براهين ، بل لقد مكنته سعة اطلاعه من عرض أقوال الباطلين ، مشيراً إلى ما ينهض منها

عائلة على إسماعيل الطفل وإعداداته لحياته خير إعداد . وهذه الميزة فضلاً عن عظيم فوائدها قد خلصت الكتاب من روح السأم وأنجته من التقل ، فأنت تطالع في تشوق واستمتاع ، وتقف منه على أمور كثيرة شبيقة ، كالاستخدام مقاييس الذكاء واستكشاف الفرد ، والسير وراء الطفل ، وحالة بعض المدارس التجريبية ، ومدارس العمل مع الدراسة واللعب ، وتجارب بعض أساطين التربية في مختلف مراحل التعليم وسواها من المسائل العملية

والأستاذ المترجم بطويل خبرته ، ونافذ بصيرته ، ومزاجته في الانجليزية ، كفيل بأن يحفظ للكتاب روحه في لباسه العربي ، وأنا وإن لم أقرأ الأصل ، أحس من دقة الأداء ومن سهولة الفهم واستواء التراكيب العربية ، على بعد ما بين اللغتين من الاختلاف في البناء والأسلوب ، أن التعريب قد تم على خير ما يرجى أتباعه في تناول مثل هاتيك الكتب الدقيقة ، فإذا أضفت إلى هذا أن الأستاذ خلافاً متحمساً لهذه النظرية ، كثير التردد لها في أحاديثه كلما تفرق الحديث إلى نقد التربية في مصر ، أيقنت من أنه خير من يضطلع بنقل هذا الكتاب إلى لغتنا وإن لمعظم النبطة ، إذ أقدم هذه الحلقة الأولى ، أو هذه الباكورة الطيبة من سلسلة التربية ، إلى جمهور اللذين والدرسين وعامة القراء ، شاكرراً للأستاذ خلاف حسن اختياره ومحميد بمجهود « الخفيف »

صدر اليوم كتاب :

في أصول الأدب

محاضرات ومقالات في الأدب العربي

بقلم

أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » بشارع المبدولى رقم ٣٢

وثمته ١٢ قرشا

كانديلورا

[بقية النشور على صفحة ١٩٥]

هو وحده في ذلك المنزل . لقد وصلت لورينا اليوم من حمام البحر . وكانت قبل ذهابها قد طردت الخادمة ، فلا أحد يساعده على رفعها من الأرض ، ولا أحد يأتي بمربة تحملها الى أقرب مستشفى حتى يؤديوا لها الاسعافات السريعة . ولحسن الحظ سمع بوق سيارة البارون شيكو وهي قادمة في الطريق ، وسرعان ما ظهر البارون بهندامه الأبيض ووجهه الأصفر الذي ينم عن شيخ ضعيف العقلية مديد القامة متصاب وثبت البارون شيكو (المونوكل) على إحدى عينيه وقال : « ماذا جرى ؟ »

وصرخ نين في وجهه قائلاً : يا إلهي ، ساعدني على إنهاضها « ولم يكاد يحملها حتى رأى أن يدها التي كانت منطوية تحت فخذهما قابضة على السدس ، كما رأى نفرة من الدم وتهد نين : « آه . . . آه . . . » وهو ينقلها هو وشيكو إلى غرفة النوم

إن لورينا لم يتصلب جنبها من شدة الألم ، ولكن من الموت . ولما وضعت الجثة على السرير صرخ نين بابا في وجه شيكو قائلاً :

« من كان ممكاً في حمام البحر ؟ قل لي من كان هذا الصيف ممكاً في الحمام ؟ »
وفقد شيكو صوابه وتقم ببعض الأسماء وزأر (نين) كالوحش وهجم عليه وأمسكه من قميصه وهزمه هزات عنيفة وقال له : « يا إلهي ! كيف يكون كل غنى متمول أبله قصير النظر ؟ »

وتساءل شيكو وقد خاف على نفسه ، وكان من شدة الخوف يتراجع باستمرار : « أتحن حقاً بلهاء ؟ »

واشتد تأنيب نين بابا إياه ، وقال له : « أنتم ، نعم أنتم بلهاء لدرجة أنكم تذكرون الأمل في الساكنين بأنهم سيكونون محبوبين مني ! أتفهم ذلك ؟ مني ! مني ! مني - محبوبين ! »
ثم وقع على جنب لورينا وانفجر بكاءً مراراً

١٠١

عربها عن الأنانية :

حجة على أصحابها وما ينسخ منها بعضه بعضاً ، كما أنه كان موقفاً غاية التوفيق في بيان العوامل التي أدت إلى جفاء الغربيين في موقفهم من الاسلام ، وفي بيان ما يقومون فيه من أخطاء وأسباب تلك الأخطاء ، التاريخي منها والديني والثقافي ، مما يمد بحق من أجل الخدمات التي يؤديها رجل نحو دينه ويضطلع بها عالم ابتناء الحقيقة

وفي ثلثي الكتاب الباقيين ، يستعرض الأستاذ كرد على أحوال العرب منذ جاهليتهم ، فيتكلم عن العرب قبل الاسلام وديانهم وأر المذنبتين اليهودية والنصرانية فيهم ، ثم عن العرب في الاسلام ، مبتدئاً بشرح عاداتهم وأخلاقهم وأثر الاسلام فيهم مورداً رأى لبون ودوزي في الفتوح العربية ، ولقد عني ببيان ما عرفه العرب من علوم ومبلغ عناية خلفائهم بالعلم وتشجيع العلماء ، وبين مواطن اللغة العربية وأثرها في اللغات الشرقية والغربية

وكان طبعياً بعد ذلك أن يتعرض لوصف حال العرب في شباب الاسلام ، فيقابل بين ما كان يتمتع به العرب من نور ونظام ، وما كان يتخبط فيه الأفرنج من فوضى وظلام ، وأشهد لقد كان معتدلاً منصفاً في هذا الباب ، فلم يجر على سنن غيره من متعصبين العرب ، ولن يحس له حقداً أو تبتين في نقده سخيمة أو ضغناً بل كان رائده الدليل والحجج التاريخية

ولقد قدم هذا الباب توطئة لبيان أثر العرب ومدنيهم في الغرب ، فكان له من هذا الوضع الطبيعي وهذا الترتيب المنطقي خير مساعد ، وراح يمرض لنا ما كشفه العرب وما ابتكروه وما نقلته عنهم أوروبا عن طريق اسبانيا وصقلية وجنوى إيطاليا ، ثم عقد في خاتمة هذا الجزء أربعة فصول هامة ، قارن في أحدها بين موقف المسلمين وأعدائهم في الحروب الصليبية ، وبين فصلين منها غارات المغول والأتراك والمستعمرين من الغربيين على بلاد المسلمين وغيرهم ، وشرح في الفصل الأخير أثر المدينة الغربية في البلاد العربية وما تخلفها من خير وشر

ولم لا أقدم بمجزيل الثناء إلى الأستاذ كرد على ، موقفاً أن من يطالعون هذا الكتاب من أبناء العربية سيذكرون له شدة إخلاصه وحسن بلائه

الغفيف